التشكيل السردي للمتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام قراءة في ضوء مكونات الخطاب السردي

محمود محمد السعيد أبو زهرة

المدرس بقسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

E-mail: moazzahra2@gmail.com

E-mail: Mahmoudabouzahra1986.el@azhar.edu.eg

تاريخ تسلم البحث: ١٦/ ٩/ ٢٠٢٣م تاريخ القبول: ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٣م

تاريخ النشر: ٣٠/ ١٢/ ٢٠٢٣م

ملخص الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على ما ورد من تأويلات المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، ومحاولة الكشف عن سر تكرارها في عدة مواطن من القرآن، وقراءة تلك المتشابهات وفق آليات التشكيل السردي؛ للكشف عن أنماط بناء السرد فيها، وعناصر تشكله، والكشف عن توظيف الألفاظ ودورها في تشكيل المشاهد وتصويرها من زوايا مختلفة، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمد على استقراء النصوص، ووصفها؛ من خلال رصد المواضع التي ورد فيها تشابه لفظي للوقوف على التوجيه الأمثل لها، والوقوف على مكونات البنية السردية لهذا المتشابه اللفظي.

وقد قسمت الدراسة إلى مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة، وخطته، وجاء التمهيد بعنوان: التشكيل السردي والمتشابه اللفظي: المصطلح والمفهوم، وجاء المبحث الأول بعنوان: المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام ودلالته، تناولت فيه المواضع التي ورد فيها التشابه فقسمتها لثلاثة مشاهد: المشهد الأول بعنوان: دعوة إبراهيم عليه السلام إلى الله، أما المشهد الثاني فجاء بعنوان: مجيء الرسل ووقوع البشرى، بينما جاء المشهد الثالث بعنوان: إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام، وجاء المبحث الثاني بعنوان: بنية السرد للمتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، تحدثت فيه عن مكونات البنية السردية لهذا المتشابه اللفظي؛ عبر التعرف على تشكيل الراوي، وتشكيل المروي، وتشكيل المروي له، وقد جاءت الخاتمة بعده فعرضت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: التشكيل السردي، المتشابه اللفظي، قصة إبراهيم عليه السلام، الراوي، المروي، المروي له.

******

Abstract:

This study aims to examine the interpretations of homophones 'similar utterances' in the story of Abraham, peace be upon him, in an attempt to unearth the secrets of their repetition in several positions of the Qur'an. It also seeks to read these homophones in accordance with the methodological techniques of the narrative formation, in order to reveal the patterns of narrative construction, the elements of its formation, and the use of words and their role in forming and depicting scenes from different angles. The study adopts a descriptive-analytical methodology that relies on the examination and description of the texts through pinpointing the positions in which homophones are mentioned in order to adequately determine their optimal interpretation, and capture the elements of the narrative structure of these homophones.

The research is divided into two sections, preceded by an introduction and a preface and followed by a conclusion. The introduction addresses the importance of the topic, the reasons for choosing it, the methodology adopted for its study, and its plan. The preface is entitled 'Narrative formation and homophones: term and concept. The first section is entitled Homophones in the story of Abraham, peace be upon him, and their implications. In this section, the positions of homophones are mentioned and they are divided into three scenes. The first scene is entitled 'The call of Abraham, peace be upon him, to Allah'. The second scene is entitled 'The coming of the messengers and the occurrence of the good news'. The third scene is entitled 'Abraham, peace be upon him, and the Sacred House'. The second section is entitled 'Narrative structure of homophones in the story Abraham, peace be upon him'. It explores the components of the narrative structure of these homophones through identifying the formation of the narrator, the formation of the narrative, and the formation of the recipient. The study comes up with a conclusion that provides the main findings of the research.

Keywords: Narrative formation, Homophones, the story of Abraham, peace be upon him, The narrator, The narrative, The narrative recipient

******

المقدمة

الحمد لله الذي امتنَّ على العرب بخاتم أنبيائه، وأنزل عليهم كتابًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل ما فيه من قَصصٍ وأخبار طريقًا للعظة والاعتبار.

وبعد

فقد استقر في ذهني منذ دراستي الجامعية وقبلها أن المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه، وأنه ما لم يتضح معناه واحتاج إلى تأويل، أو ما تكررت ألفاظه(١)، وقد بذل العلماء جهودهم لبيان المراد منه وتوجيهه، إلا أن رأيًا أثار فضولي وكان دافعًا لي للبحث، إذ حصر المتشابه في إيراد القصة الواحدة في صور مختلفة(٢)، فوجهت نظري إلى القصة القرآنية التي تكررت أحداثها في أكثر من موضع في محاولة للكشف عن المغزى من ذلك، فلا يكفي القول بالإعجاز عن الإتيان بمثله، وكان الغرض دراسة الشكل الذي ورد عليه المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام التي اتخذتها مجالًا للتطبيق؛ إذ هي أطول قصة قرآنية بعد قصة موسى عليه السلام، ولارتباط المسلمين به في كثير من شعائرهم، وآثرت أن تكون الدراسة بعنوان: "التشكيل السردي للمتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام قراءة في ضوء مكونات الخطاب السردي"، وعلى الرغم من ارتباط التشكيل كمصطلح بفن الرسم، إلا أن التداخل بين الفنون قد فتح آفاقًا جديدة للدراسات –خاصة الأدبية منها– حين يستعان بالمصطلح لوصف النص الأدبي، ونقله من نص مكتوب أو مسموع إلى مشاهد حية، وما تقدمه فكرة التشكيل السردي هو النظر في كل العناصر المكونة للعمل السردي كوحدة واحدة، بمعنى النظرة الشمولية لكل عناصر السرد، وطريقة تناسقها وتوافقها.

وقد حاولت بهذه الدراسة الإجابة عن بعض الأسئلة ومنها: ما الحكمة من تكرار بعض القصص في القرآن الكريم؟ وهل تقف ظاهرة المتشابه اللفظي عند الجزم بالإعجاز البياني للقرآن فقط؟ وكيف ظهر الراوي في قصة إبراهيم عليه السلام؟ وكيف تم تجسيد الأحداث فيها؟ وما موقع المروي له في المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام؟ وما دور التشكيل السردي في تصوير المشاهد والأحداث؟ ومن ثم جاءت الدراسة محاولة للكشف عن أنماط بناء السرد في المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، وعناصر تشكله، بالوقوف على ما ورد فيه من تأويلات، ومحاولة الكشف عن

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات الرضى– بيدار، ط الثانية، ١٣٩٣هـ، ٣/ ٤.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث– القاهرة، (د. ت)، ١/ ١١٢.

سر تكرارها في عدة مواطن من القرآن، وقد كانت جدة الموضوع سببًا في اختياره –على الرغم من وجود دراسات تناولت القصة القرآنية، لكنها لم تقف عند حدود المتشابه اللفظي، على النحو الذي تسعى إليه هذه الدراسة– مع عدم وجود دراسات سابقة عنه، إلا دراسة بعنوان: التشكيل السردي للمتشابه اللفظي في القصة القرآنية في ضوء نظرية السرد الحديثة، للباحث سمير بعزيز، كلية الآداب جامعة أم البواقي– الجزائر، ٢٠٢١/ ٢٠٢٢م، خصص الباحث الحديث فيها عن قصتي آدم ونوح عليهما السلام، فذكر مجمل القصة، ثم المشاهد التفصيلية، ثم كلام علماء المتشابه اللفظي على القصة، وقد تعرض للتشكيل السردي في الفصل التمهيدي فقط ولم يمتد صداه إلى جزئيات البحث، ودراسة بعنوان: التماسك النصي في القصص القرآني: قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام أنموذجاً، د/ أحمد إبراهيم ندا، د/ رضا عبد العزيز الدسوقي، مجلة المجمعة، جامعة العلوم الإنسانية والإدارية، ع/ الرابع، ديسمبر ١٤٣٥هـ– ٣٠١٣م، وقد ركزت الدراسة على إظهار الخواص التركيبية والدلالية والاتصالية للنص القرآني، مع الاستعانة ببعض الدراسات التي أضاءت الطريق، وأفاد منها الباحث ومنها:

– دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، للباحثة: برحمون فاطمة زهرة، مخطوطة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠١٦–٢٠١٧م.

– بنية السرد في القصة القرآنية، حميد سمير محمد عباس، مجلة جذور، ع/ ٣٩، ربيع الأول ١٤٣٦هـ– يناير ٢٠١٥م.

بالإضافة إلى بعض كتب توجيه المتشابه اللفظي، وبعض كتب التفسير مثل:

– أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، تح/ عبد القادر أحمد عطا، مراجعة/ أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة،(د. ت).

– تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، الأجزاء: ٧، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٣.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح/ محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ، ج/ ٦.

– درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة– بيروت، ط الرابعة، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله

أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ على محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ج/ ٤.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظي من آي القرآن، ابن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت).

أما عن منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على استقراء النصوص؛ من خلال رصد المواضع التي ورد فيها التشابه للوقوف على التوجيه الأمثل لها، والوقوف على مكونات البنية السردية لهذا المتشابه اللفظي.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تخرج في مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، ثم ثَبَت بالمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات على النحو الآتي: المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة، وخطته، وجاء التمهيد بعنوان: التشكيل السردي والمتشابه اللفظي: المصطلح والمفهوم، تحدثت فيه عن مصطلح التشكيل السردي، ومفهوم التشكيل، والمراد بالسرد، كما عرضت مصطلح المتشابه اللفظي بالمفهوم الذي سارت عليه الدراسة، وجاء المبحث الأول تحت عنوان: المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام ودلالته، تناولت فيه المواضع التي ورد فيها التشابه فقسمتها لثلاثة مشاهد: المشهد الأول بعنوان: دعوة إبراهيم عليه السلام إلى الله، وانتظم في أربعة مقاطع: المقطع الأول: الدعوة الفردية (دعوته لأبيه)، المقطع الثاني: الدعوة الجماعية (دعوته عليه السلام لأبيه وقومه)، المقطع الثالث: صدور الحكم على إبراهيم عليه السلام، المقطع الرابع: نجاته عليه السلام من النار، أما المشهد الثاني فجاء بعنوان: مجيء الرسل ووقوع البشرى، وفيه مقطعان: المقطع الأول: مجيء الرسل، المقطع الثاني: وقوع البشرى، بينما جاء المشهد الثالث بعنوان: إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام، وفيه مقطعان: المقطع الأول: الأمر بتطهير البيت، المقطع الثاني: دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة، وجاء المبحث الثاني بعنوان: بنية السرد للمتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، تحدثت فيه عن مكونات البنية السردية لهذا المتشابه اللفظي؛ عبر التعرف على تشكيل الراوي، وتشكيل المروي، وتشكيل المروي له، وقد جاءت الخاتمة بعده فعرضت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الباحث

التمهيد

التشكيل السردي والمتشابه اللفظي: المصطلح والمفهوم

أولًا: التشكيل السردي:

يتكون هذا المصطلح من موصوف (التشكيل)، وصفة (السردي)، **والتشكيل لغة:** الشَّكْلُ بالفتح: الشِّبْه والمِثْل... وشَكْلُ الشيء صورتُه المحسوسة والمُتَوَهَّمة... وتَشَكَّل الشيءُ تَصَوَّر، وشَكَّلَه صَوَّرَه، ومنه الفنون التشكيلية، (تَشَكَّلَ) مُطَاوِعُ شَكَّلَه، والشيءُ تصوَّرَ وتَمَثَّل[1]، فالجذر اللغوي يرتبط بالتصوير والتمثل، والتحويل والتغيير.

أما التشكيل اصطلاحا:

يتصل الجذر اللغوي (شَكَّلَ) بجانب التصوير والتمثل، والتحويل والتغيير، و(التشكل) معناه التحويل والتغيير من صورة إلى أخرى، ومن شكل إلى آخر، أما (التشكيل) فمعناه القدرة على التشكل، وهو "نتاج عملية توحيد يترتب عليها تنظيم عناصر مختلفة يتم توزيعها على خارطة التشكل بحيث تُكَوِّن هيكلًا جديدًا فقدت عناصره فرديتها ومعناها لصالح الشكل الذي أصبحت جزءًا لا يتجزأ منه، وانفتح على رؤية أخرى في التعبير والتدليل"[2].

ويرجع (التشكيل) كمصطلح فني وجمالي يشتغل عادة في حقل الفنون الجميلة، ويرتبط مضمونه بفن الرسم، إلا أن التداخل بين الفنون وانفتاحها أخذ بعدًا عميقًا نتج عنه مصطلحات جديدة، كما أن البعد البصري في المفهوم يكاد يهيمن على فضاء حركة المعنى ودلالاته في المصطلح، فالرسم بوصفه نصًا إبداعيًّا بصريًّا يتضمن خطابًا متحديًّا ومحفزًا ومثيرًا للرصد، والمعاينة والقراءة والتأويل، وهذا المعنى الإشكالي بالذات هو الذي أخذه الأدب وسخره لوصف نصه الأدبي وتشكيل خطابه، وحين يُرحل المصطلح إلى فضاء النص الأدبي فإنه يسهم في تحرير النص المكتوب والمقيّد من خطيته، ونقله إلى موقع التناول البصري، كما يحرّض المتلقي

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة شكل، ٤/ ٢٣١٠. وينظر: المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية ط/ الرابعة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ١/ ٤٩١.

(٢) التشكيل الشعري الصنعة والرؤيا، د/محمد صابر عبيد، دار نينوى، دمشق، سوريا،١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ص١٤ (بتصرف يسير).

على السعي لاستكشاف وتمثل وقراءة البعد البصري في النص المكتوب على النحو الذي يحيل على فضاء التشكيل في مرجعيته الفنية (الرسم)[١].

السرد لغة: هو "تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضه في إثر بعض، وسرد الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له... والسرد: المتتابع، وسرَدَ فلان الصوم إذا والاه وتابعه"[٢].

السرد اصطلاحًا:

يقوم الحكي على أساسين، أولهما: احتواؤه على قصة تضم أحداثًا معينة، وثانيهما: تعيين الطريقة التي تُحكَى بها هذه القصة، وتسمى هذه الطريقة سردًا، فالسرد هو الكيفية التي تُروى بها القصة، أو التقنية التي تتحول بها الحكاية إلى قصة فنية، ولهذا فإنه يعتبر وسيلة يعتمد عليها في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي[٣].

والسردية (narratology): "علم يُعنى بمظاهر الخطاب السردي، أسلوبًا وبناء ودلالة، فهو يبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي ومروي له"[٤] .

التشكيل السردي: هو النظر في كل العناصر المكونة للعمل السردي كوحدة واحدة، ففَهْمُ القصّة لا يعني النظر في وحدات العمل القصصي منفصلًا بعضها عن بعض، وإنّما يعني النظر في طريقة تناسقها وتوافقها، وبهذا المعنى يكون التشكيل السردي "ضربًا من تحبيك الوحدات القصصية أي جعل بعضها آخذًا برقاب بعض، وهذا يعني أن صانع حكاية ما يَرْسُمُ لها خطة أو بنية تتشكل بها ومنها، ولذلك فمصطلح التشكيل مقترن بما يُسمَّى نشاطًا ناظمًا للبنى"[٥].

******

(١) التشكيل السردي المصطلح والإجراء، د/ محمد صابر عبيد، دار نينوى، دمشق، سوريا، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ص١٤- ٢٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف- مصر، (د.ت)، مادة سرد، ٣/ ١٩٨٧.

(٣) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د/ حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط الأولى، ١٩٩١م، ص٤٥. وينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، د/ لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٢م، ص١٠٥.

(٤) السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، د/ عبد الله إبراهيم، ط الأولى، ١٩٩٢م، ص٩ (بتصرف).

(٥) معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط الأولى، ٢٠١٠م، ص٩٤.

ثانيًا: المتشابه اللفظي

المتشابه لغةً:

يتركب مصطلح المتشابه اللفظي من كلمتين، أمّا كلمة المتشابه فهي اسم فاعل من (التشابه)، ويرِد التشابه على معنيين، هما: التماثل، والتلابس، الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ والجمع أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله... والمُشْتَبِهاتُ من الأُمور المُشْكِلاتُ والمُتَشابِهاتُ المُتَماثِلاتُ، (المتشابه): النص القرآني يحتمل عدة معان، وفي التنزيل: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران:٧][(١)]، فالتشابه يقع نتيجة التماثل، الذي قد يؤدي إلى اللّبس أحيانًا.

المتشابه اصطلاحًا:

ذهب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) إلى أن أصل التّشابه: "أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله جل وعز في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[البقرة: ٢٥] أي متّفق المناظر، مختلف الطّعوم، وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُم﴾ [البقرة: ١١٨] أي يشبه بعضها بعضًا في الكفر والقسوة، ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرّق بينهما"[(٢)].

أما مصطلح المتشابه اللفظي فقد عرّفه الطبري (ت ٣١٠هـ) بقوله: "هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني"[(٣)]، وتبعه ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) فنقل عنه التعريف، وزاد عليه الإطالة في التمثيل له[(٤)].

أما الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فعرفه بقوله: "إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء"[(٥)].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة شبه، ٤/ ٢١٨٩. وينظر: المعجم الوسيط، ١/ ٤٧١.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح/ السيد أحمد صقر، دار التراث- القاهرة، ط/ الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ص١٠١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح/ محمود محمد شاكر، مراجعة/ أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ، ٦/ ١٧٨.

(٤) ينظر: الإكليل في المتشابه والتأويل، ابن تيمية، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع- الإسكندرية، (د.ت)، ص٩.

(٥) البرهان في علوم القرآن، ١/ ١١٢.

وتقييد المصطلح باللفظي لإخراج غيره منه، وهو المتشابه المعنوي، وهو الذي يقابل المحكم، فالمتشابه المعنوي هو ما استأثر الله بعلمه، واحتمل أوجُهًا، ولا يستقل بنفسه، واحتاج إلى بيانٍ بردّه إلى غيره(١).

وقد وضح الكرماني (ت ٥٠٥هـ) موضوعه في مقدمة كتابه: "الآيات المتشابهات التي تكرَّرت فِي القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكرَّرت من غير زيادة ولا نقصان"(٢).

ومن خلال ما تم عرضه من أقوال يلاحظ أن من معاني المتشابه اللفظي تكرار القصة القرآنية في سور عدة ومواضع مختلفة، بأساليب وصيغ متنوعة بألفاظ متفقة، مع وجود بعض الفروق التي تظهر في التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة بكلمة، أو الحذف والذكر، أو الزيادة والنقصان.

والمتلقي لقصة إبراهيم عليه السلام التي عرضها القرآن في مواضع مختلفة يجد كل مقطع يضيف إلى جوهر القصة، ويوضح الموقف، وتسعى الدراسة إلى بيان مدلول المتشابه اللفظي في القصة، والكشف عن أنماط بناء السرد فيها، وعناصر تشكله.

******

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، د/ مناع القطان، مكتبة وهبة، ط/ السابعة، (د.ت)، ص٢٠٥.

(٢) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لتاج القراء: محمود بن حمزة الكرماني(ت نحو ٥٠٥هـ)، تح/ عبد القادر أحمد عطا، مراجعة/ أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، (د. ت)، ص٦٣.

المبحث الأول

المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام ودلالته

بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادتهم للأصنام التي لا تضر ولا تنفع، لكن قومه استنكروا دعوته، فلما واجههم بالحجة قابلوه بالتنكيل وأقدموا على الفتك به، فأمروا بتحريقه إمعانًا في إلحاق الأذى به، وقد ذكرت هذه القصة مفصلة في ست سور وهي بترتيب النزول: مريم، الشعراء، الأنعام، الصافات، الأنبياء، البقرة، ووردت مجملة في تسع سور أخرى، وهي بترتيب النزول: هود، الحجر، الزخرف، الذاريات، إبراهيم، العنكبوت، آل عمران، الممتحنة، التوبة[1]، وقد ورد المتشابه اللفظي في هذه السور بأساليب مختلفة سيتناول هذا المبحث بعض مشاهد القصة بما حوته من مقاطع متشابهة بالتوجيه.

المشهد الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام إلى الله:

أخذ موقف إبراهيم عليه السلام ودعوته لأبيه وقومه في القرآن سبلًا مختلفة، فحاورهم تارة، وجادلهم تارة أخرى، وبعض هذه المحاورات تشابهت وتكررت في مواضع من سور القرآن مع بعض التغاير اللفظي، وبعضها لم يذكر إلا في موضع واحد، وقد جاء مشهد دعوة إبراهيم عليه السلام إلى الله تعالى في مقطعين:

المقطع الأول: الدعوة الفردية (دعوته عليه السلام لأبيه):

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- مريم	إذ قال لِأَبِيهِ	الحذف والذكر	مراعاة سياق النظم
٢- الأنعام	وإذ قال إبراهيم لِأَبِيهِ ءَازَرَ		

ورد في سورة مريم قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾، كما ورد في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

ومواضع التشابه: حذف حرف الواو العاطفة، وحذف كلمة (إبراهيم) في سورة مريم، وذكرهما في سورة الأنعام، مع التصريح بالاسم العلم (آزر) في سورة الأنعام وحذفه في سورة مريم، وتوجيه ذلك: أن افتتاح القصة في سورة **مريم ورد** بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ

(١) ينظر: دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، للباحثة: برحمون فاطمة زهرة، مخطوطة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠١٦- ٢٠١٧م، ص١٦٦.

صِدِّيقًا نَبِيًّا﴿٤١﴾﴾ فناسب عدم ذكر اسمه مرة أخرى، مع عدم العطف لعدم الحاجة إليه، بينما كانت آية سورة الأنعام بداية ذكر قصة **إبراهيم** عليه السلام مع أبيه، ورحلته للبحث عن الله من خلال تأملاته في ملكوت السماوات والأرض، فناسب ذكر قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾؛ لعدم تقدم ذكره فيما سبق من آيات السورة.

أما انفراد سورة الأنعام بالتصريح بالاسم العلم لوالد إبراهيم عليه السلام[1]؛ فلأن سياقها يدور حول الرد على المشركين، وإبطال عقائدهم الفاسدة، وتفنيد شبههم بما يتناسب مع طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها الدعوة الإسلامية، فبعد أن ساقت السورة ألوانًا من الأدلة على وحدانية الله، وسعة علمه وقدرته، أخذت في التدليل على بطلان الشرك، وإثبات التوحيد عن طريق القصة، فحكت جانبًا مما قاله إبراهيم لأبيه وقومه[2].

وقراءة الجمهور: (آزرَ) بفتح الراء بدلًا من (أبيه)، وعلى ذلك يكون الكلام حكاية من الله تعالى، ينقل موقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه، والتصريح باسم الأب للتأكيد على أن مقام الأبوة لم يمنع إبراهيم عليه السلام من الجهر بالحق، وتوبيخ والده على ضلاله، وقد انفرد هذا الموضع بذكر اسم والد إبراهيم عليه السلام فلم يرد في موضع آخر من القرآن، وكأن الله تعالى يقدم لنبيه محمد ﷺ الحجّة على قومه بأن أباهم (إبراهيم بن آزر) الذي ينتسبون إليه ويفتخرون به لم يكن مشركًا، ولا عابدًا للأصنام كما يعبدون.

فذكر الوالد باسمه يتناسب مع السياق الوارد فيه، وقد اتخذ خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه في هذا الموضع أسلوب الشدة بما يتناسب مع موقف أبيه الذي أصر على الضلال؛ باتخاذه الأصنام آلهة يعبدها من دون الله، ولذا عبر بقوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾، والاستفهام للإنكار والتوبيخ؛ إذ كيف لعاقل أن يعبد أصنامًا يصنعها بيديه لا تنفع ولا تضر؟ ومواجهة إبراهيم عليه السلام لأبيه بهذا الأسلوب جاءت بعد تقدمه له بالدعوة بالرفق، كما حكى الله عنه في سورة مريم: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾، فلما رأى تصميمه على الكفر سلك معه أسلوب الغلظة؛ لعله يجدي نفعًا في نفس أبيه، ومعلوم أن أساليب الدعوة تتنوع بين الرفق تارة والغلظة تارة أخرى، وقد أمر الله تعالى موسى وهارون –عليهما السلام– أن يقولا لفرعون قولًا لينًا، وأمر

---

(١) اختلف المفسرون حول (آزر)، هل هو والد إبراهيم؟ أو عمه؟ أو اسم لصنم؟ والذي يطمئن إليه الباحث أنه اسم أبيه، استنادًا لظاهر الآية الكريمة، وصحيح السنة النبوية. ينظر: صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، ص٨٢٧.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي، الرسالة– القاهرة، ط الرابعة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م، ٥/ ١٤٦.

رسوله ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، لكنه قال له في موضع آخر: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وليس في ذلك ما ينافي بر إبراهيم بأبيه؛ لأنّ المجاهرة بالحقّ لا تنافي البر، كما أنّ مراتب برّ الوالدين متفاوتة في الشرائع، وقد قال أبناء يعقوب له: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥][(١)].

إن الخطاب في آية سورة الأنعام خطاب تقريع وتوبيخ، يعضد ذلك ختام الآية بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، بما يدل على غضب إبراهيم عليه السلام وتأففه من ضلال والده.

أما ما ورد في سورة مريم من ذكر (يا أبت) بعد قوله (لأبيه) فلأن مقام الخطاب مقام نصح وعظة وإرشاد، وهذا ما فصله الزمخشري بقوله: "انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز... كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن"[(٢)].

ولذا تكرر النداء في سورة مريم، ولم يذكره في سورة الأنعام ولا في غيرها، لما في سياق سورة مريم من معاني الرحمة، إذ توجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له النصيحة، وألقى إليه حجة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ، منبهًا على خطئه عندما يتأمل في عمله فإنه إن سمع ذلك وحاول بيان سبب عبادة أصنامه لم يجد لنفسه مقالًا ففطن بخطل رأيه، فالتكرار اقتضاه مقام استنزاله إلى قبوله الموعظة لأنها مقام إطناب[(٣)]، فالاستفهام في سورة الأنعام لم يكن استفهامًا عن العلة وإنما كان توبيخًا على وضع قائم، وهذا يتفق مع سياق السورة، حيث كان في محاجة المشركين على عنادهم حيث يتبرأ إبراهيم عليه السلام من الشرك وقومه، ويعلن توجهه إلى عبادة الله.

ومن خلال ما تم عرضه يتضح أن السورتين تحكيان مشهدين مختلفين من قصة إبراهيم ومواجهته لأبيه، وعرضه لدعوة التوحيد، ومحاولاته صرف أبيه عن عبادة الأصنام، فبدأ معه عن طريق العقل وتقديم النصح المغلف بصدق عاطفة البنوة، والخوف على الوالد أن يتعرض لغضب

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٧/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ على محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٤/ ٢٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/ ١١٣، ١١٤.

الله، أو أن يمسه عذابه، وهو ما حكته سورة مريم الأسبق نزولًا، فلما يأس من إجابته وجه إليه تلك الصرخة الغاضبة الواردة في سورة الأنعام، وكأني به عليه السلام يلوح بيده في وجه أبيه محاولًا رده إلى عقله، وإفاقته من ضلاله وغيّه، بعدما أصر على موقفه من عبادة الأصنام، والدفاع عنها، بل وتوجيه التهديد المباشر لإبراهيم عليه السلام بالرجم أو الإبعاد والنفي إن لم يكف عن دعوته.

المقطع الثاني: الدعوة الجماعية (دعوته عليه السلام لأبيه وقومه):

اتخذت دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه ولقومه ترك عبادة الأصنام طريق الحوار، وتحكيم العقل، في سور: الشعراء، والصافات، والأنبياء بترتيب النزول، ففي سورة الشعراء نقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾، وفي سورة الصافات نقرأ قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾، وفي سورة الأنبياء نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾.

الملاحظ من الآيات المذكورة وجود فروق واضحة في التعبير، واختلافات يسيرة في طريقة الصياغة، فربما وقع الفرق من نوع الزيادة والنقصان، أو ذكر كلمة في موضع وحذفها في موضع آخر.

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الشعراء	ما تعبدون	الزيادة والنقصان	زيادة المبنى لزيادة المعنى
٢- الصافات	ماذا تعبدون		

يبدو أن المشهد الذي عرضته سورة الشعراء هو الأول لدعوته عليه السلام لأبيه وقومه في ملأ، وقد جاء في صورة سؤال استفسار غير إنكار؛ حتى لا يستثير مشاعرهم للرفض، أما قوله في سورة الصافات: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥﴾ فذلك مقام آخر له في قومه كان بعد الدعوة الأولى المحكية[1].

وقد وقع التشابه في الآيات السابقة التي تعرض هذا المقطع من قصة إبراهيم عليه السلام في موضعين: أولهما: وقوع السؤال في سورة الشعراء على لسان نبيه عليه السلام: ﴿مَا تعبُدُون﴾ باستعمال (ما)، وفي سورة الصافات في قوله ﴿مَاذَا تَعْبُدُون﴾ باستعمال (ما) مقترنة بـ(ذا)، فالتشابه اللفظي

(١) ينظر: السابق، ١٩/ ١٣٨.

بين الآيتين من نوع الزيادة والنقصان، وإذا كان علماء البيان متفقين على أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فإن قوله: (ماذا تعبدون) ومعناها: أيّ شيء تعبدون، وهو أبلغ من (ما) وحدها(١).

فالاختلاف في الاستعمالين سببه اختلاف الغاية والغرض، ودل ذلك على تعدد المشهد؛ فقوله: ﴿ما تعبدون﴾ في سورة الشعراء إخبار عن تنبيهه لهم، لأنهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهِم فأجابوه وقالوا: ﴿نعبد أصنامًا فنظلُّ لها عاكفين﴾، فنبّه ثانيًا بقوله: ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون﴾.

أما قوله: ﴿ماذا تعبدون﴾ في سورة الصافات فإنه تقريع لهم، وهو حال بعد التنبيه، ولعلمهم بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لم يجيبوا كإجابتهم في الأول، ، بل إنه ﷺ لم ينتظر منهم جوابًا، وإنما باغتهم باستفهامين متتاليين يصوران مشهد إبراهيم ﷺ وكأنه يقف أمامهم يلوح بيديه معنفًا، وهم يطأطئون رؤوسهم ينظرون إلى الأرض من الخجل، فأضاف بذلك تبكيتًا إلى تبكيت فقال: ﴿أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فلمَّا قصد في الأول التنبيه كانت (ما) كافية، ولمَّا بالغ وقرّع استعمل اللفظ الأبلغ وهو (ماذا)(٢).

الموضع الثاني:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الشعراء	قالوا بل وجدنا آباءنا	الذكر والحذف	مراعاة سياق النظم
٢- الأنبياء	قالوا وجدنا آباءنا		

ذُكرت (بل) في سورة الشعراء، بينما خلت منها سورة الأنبياء؛ ففي سورة الشعراء قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾؛ وتوجيه ذلك أنه لما كانت القصة في سورة الشعراء تمثل مرحلة البداية في دعوة إبراهيم ﷺ لأبيه وقومه، فكان فيها من التخفيف من حدة التوبيخ والإنكار عليهم، والتخفيف في مجادلتهم وتسفيه عقولهم، حيث اكتفى فيها بإظهار الأدلة على بطلان عبادة الأصنام، وإظهار أنها عدو له ومن ثَم إظهار وحدانية الله، وقد بدأ إبراهيم ﷺ بسؤالهم عن حقيقة ما يعبدون: (مَا تَعْبُدُونَ؟)، والاستفهام صوري لأنه يعلم أنهم يعبدون أصنامًا، لكنه أراد بالاستفهام أن يشرحوا حقيقة عبادتهم ومعبوداتهم، ليظهر لهم فساد ما هم فيه، لكنهم أجابوه بتعيين نوع معبوداتهم حملًا

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ص٣٣١.

(٢) ينظر: نفسه، ذات الصفحة.

منهم للاستفهام على حقيقته: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، فأراد عليه السلام أن يضيق عليهم ليعترفوا بعبادتهم لما لا يضر ولا ينفع ولا فائدة من عبادته، فأعجلهم بسؤال يبين لهم حقيقة ما يعبدون، وخطأ ما يعتقدون: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ فلما وقعوا في الحرج أضربوا عن الإجابة عنه إلى ما يرونه عذرًا أو حجة على فعلهم فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، و(بل) تفيد الإضراب، وتصدير الإجابة بها أوقعهم فيما أرادوا الفرار من الاعتراف به، وهو أن آلهتهم لا تسمع ولا تنفع ولا تضر؛ إذ لو اتصفت بوجود هذه الصفات لما عدلوا إلى الإضراب(١).

أمّا ما ورد في آية سورة الأنبياء فكانت أشد توبيخًا وأقوى في السخرية والتهكم بهم وبما يعبدون، فبدأ القول بسؤال الساخر المستهزئ بعبادتهم "ولما كان في سؤاله إشارة تحقيرية إلى تماثيلهم التي يعبدونها، مما يدل على معرفته التامة بها، وأن السؤال ليس حقيقيًّا، بل على سبيل الإنكار والتهكم، لم يجيبوه ببيان حقيقتها كما هو ظاهر سؤاله، بل أجابوه ببيان سبب عبادتها، وهو تقليد الآباء وبذلك اختلف الجواب هنا عنه في الشعراء"(٢).

فتنوع السرد لاختلاف السؤالين وتعدد المشهد؛ ففي سورة الشعراء كان السؤال: ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون﴾، والجواب عن هذا السؤال إما أن يكون بالإثبات أو بالنفي، فلو أجابوا عنه بالنفي لاعترفوا بعبادتهم ما لا يسمع، ولا ينفع ولا يضر، وبذلك تلزمهم الحجة ببطلان هذه العبادة، ولو أجابوا عنه بالإثبات لكانت إجابتهم مخالفة للحقيقة المشاهدة المحسوسة، فيظهر كذبهم ومن ثم لم يجدوا ما ينقذهم من الإجابة عن هذا السؤال الذى سيورطهم ويوقعهم في الحرج إلا أن يضربوا عن الإجابة عنه إلى ما يرونه عذرًا وعلة لهم في عبادتها، وهو تقليد الآباء فجاءت الإجابة مصدرة بـ (بل) لتفيد إضرابهم عن السابق إلى كلام جديد، وكأنهم قالوا: لا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، وبذلك كانت (بل) هنا لازمة الجواب، ولا يمكن أن يتأتى بدونها.

أما في سورة الأنبياء فقد كان السؤال على سبيل التوبيخ والتهكم، وكأنه يقول لهم: لم تعبدونها وتعكفون عليها وأنتم تعلمون أنها تماثيل صنعتموها بأيديكم ولا حياة فيها ولا ضر، فقالوا

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظي من آي القرآن، ابن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د.ت)، ٢/ ٣٤٩. وينظر: التحرير والتنوير، ١٩/ ١٣٨.

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د/ الشحات محمد أبو ستيت، مطبعة الأمانة، ط الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ص٢٥٥.

مبينين العلة والسبب(١).

ومن خلال ما سبق يظهر الفرق بين الموضعين، وأن جوابهم فيهما لم يكن جوابًا عن سؤال واحد، وإنما جاء ردًا على سؤالين في مشهدين مختلفين.

المقطع الثالث: صدور الحكم على إبراهيم عليه السلام:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الصافات	قالوا ابنوا له بنيانًا	إبدال الجملة	مراعاة سياق النظم
٢- الأنبياء	قالوا حرقوه	الزيادة والنقصان (كلمة)	
٣- العنكبوت	قالوا اقتلوه أو حرقوه		

لمَّا أعلن إبراهيم عليه السلام براءته مما يعبده قومه من أوثان، وجهر بعداوته لها: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّيَ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]، قام بتحطيمها إثباتًا لعدم نفعها لنفسها، فضلًا عن ضرها لغيرها، وكان المنتظر منهم أن يعودوا إلى رشدهم، ويعترفوا بضلالهم، إلا أنهم أصروا على عنادهم وكفرهم، وحكموا عليه بالإحراق ردًّا على ما فعله بآلهتهم، ومكايدة له كما كادهم، فأنجاه الله من بغيهم، وقد ورد مشهد النطق بالحكم على إبراهيم عليه السلام في ثلاثة مواضع من كتاب الله: الأول في سورة الصافات: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴿٩٧﴾﴾، والثاني في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿٦٨﴾﴾ والثالث في سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

والمتأمل في الآيات يجد صدور الحكم ضد إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء قاطعًا بالحرق: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾، بينما ورد في سورة العنكبوت مترددًا بين القتل والحرق: ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوه﴾، أي بزيادة (القتل)، والملاحظ أن التعبير في كل موضع يتناسب مع سياق الآيات التي ورد فيها؛ ففي سورة الأنبياء جاء قرار القوم بحرقه حاسمًا، وجاء التعبير بالتشديد للتكثير، وكأنهم يريدون أن يذيقوه العذاب مرات ومرات، نصرة لآلهتهم التي حطمها، وهذا يتلاءم مع ما ورد في السورة من أحداث، كما يتناسب مع رد فعل القوم على تحطيم آلهتهم فهم في حالة من الغيظ تؤهلهم للفتك بإبراهيم عليه السلام، وربما كان هذا قرار الأسياد والرؤساء من القوم، ولذا جاء

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط الرابعة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص٢٩٩. وينظر: خصائص النظم القرآني، ص٢٥٦.

قاطعًا.

أما سورة العنكبوت فإن الطابع العام لها هو الإجمال؛ فقد ذكرت فيها قصة إبراهيم عليه السلام في عدة آيات، ولم تتعرض لحادثة تحطيم الأصنام، ولا لكيفية نجاته من النار، التي ذكرت مفصلة في موضع آخر؛ لأن السورة متأخرة في ترتيب المصحف والنزول، ولذا جاء حكم القوم مترددًا بين القتل والحرق، وكأنهم انقسموا فيما بينهم بين من ينادي بقتله، ومن ينادي بحرقه، وهو حكم العامة من القوم، كما يجوز أن تكون (أو) هنا بمعنى (بل)، ويكون المعنى أنهم أمروا بقتله أولًا ثم تراجعوا عن القتل إلى الإحراق تعذيبًا له حتى يرجع عن دعوته، ليناسب الإجمال والإيجاز الواقع في سرد القصة.

أما سورة الصافات فقد ورد القرار مختلفًا عما ورد في سورتي العنكبوت والأنبياء؛ ليتناسب مع ما تقدم فيها من السرد، والإلقاء كما هو معروف هو الرمي من الأعلى إلى الأسفل، وهذه الدلالة تقابلت مع ما تقدمها في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣]، إذ أفاد اقتران الفعل (راغ) بحرف الجر (على) معنى الاستعلاء، وقد "جيء بـ(إلى) أولًا لأن المعنى المقصود انتهاء الغاية، والفعل (راغ) يصل إلى مفعوله بها في العادة، ثم لما أريد معنى الاستعلاء الذي يوافق روغ الضارب المستولي على ما يضرب جيء بـ(على) والفعل هو هو لم يتغير ولم يتحول عن مدلوله اللغوي"[(١)]، ومن ثم كان اختلاف القرار في كل سورة مراعاة لاختلاف سياق النظم للقصة المسرودة[(٢)].

******

المقطع الرابع: نجاته عليه السلام من النار:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الصافات	فأرادوا	إبدال حرف بحرف (الفاء- الواو)	مراعاة سياق الأحداث
٢- الأنبياء	وأرادوا		

(أ) ورد قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ بالعطف

(١) نحو القرآن، د/ أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ص٥٨.
(٢) ينظر: دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، ص٢٠٢.

بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ بالعطف بالواو التي هي لمطلق الجمع، ولا تدل على ترتيب أو تعقيب، فما سبب الاختلاف في العطفين والقصة واحدة؟

الملاحظ أن الاختلاف كان مراعاة لسياق الأحداث في كل منهما، ففي سورة الصافات يشعر القارئ بتتابع الأحداث في سرعة يوضحها الحكم الصادر ضد إبراهيم عليه السلام من قومه: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، فكأنهم أرادوا سرعة التنفيذ، وأنه بمجرد صدور الحكم قاموا بالتنفيذ، ومعلوم أن إنجاز هذا البنيان يتطلب وقتا زمنيًا، إضافة إلى استغراق حادثة الإلقاء في النار فترة زمنية معينة، فناسب عطف (أرادوا) بالفاء؛ لتتناسق مع ما تقدمها للدلالة على التسلسل الزمني في سير الأحداث (البناء، الإلقاء)، ومن ثم الإنجاء.

أما في سورة الأنبياء فجاء عطف (أرادوا) بالواو؛ لعدم تقدم تفصيل عن الكيفية التي اعتمدها قوم إبراهيم في معاقبته وإلقائه في النار، بل اقتصر على التصريح بفعل الحرق الوارد في قوله تعالى ﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، دون ذكر كيفية التحضير والتنفيذ لهذا الكيد الشنيع، كما لم يصرح فيها بنجاة نبيه من النار، وإنما فُهم من النص: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، فناسبها عطف (أرادوا) بالواو الجامعة لا الفاء المعقبة(١).

(ب) ختمت الآية الكريمة في سورة الصافات بـ(الأسفلين)، وفي سورة الأنبياء بـ(الأخسرين)، على الرغم من اتحاد المشهد.

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الصافات	فجعلناهم الأسفلين	إبدال كلمة بكلمة	مراعاة الفروق بين الألفاظ
٢- الأنبياء	فجعلناهم الأخسرين		

وسبب اختلاف ختام الآيتين: أن الله تعالى أخبر في سورة الأنبياء عن مكايدة إبراهيم عليه السلام لقومه قال تعالى: ﴿وتالله لأكيدنّ أصنامكم﴾، كما أخبر عن مكايدة قومه له بإلقائه في النار: ﴿وأرادوا به كيدًا﴾، فكادهم ولم يكيدوه؛ لأنه كسّر أصنامهم ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فناسب ذكر الأخسرين لأنهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايدة التي أضيفت إليهما.

وقد أخبر في سورة الصافات عن فعل قوم إبراهيم للتنكيل به: ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم﴾، فبنوا بنيانًا عظيمًا شاهقًا ورفعوه إليه ليرموه منه إلى أسفل بعد أن أشعلوا نارًا عظيمة،

(١) ينظر: السابق، ص٢٠٣، ٢٠٤.

وقد أرادوا العلو لأنفسهم والسفول لإبراهيم، فجعلهم الله هم الأسفلين، وجعل إبراهيم هو الأعلى؛ إذ نصره عليهم بعدم تحقق مرادهم، فناسب ذكر الأسفلين في ختام هذه الآية: ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾(١).

المشهد الثاني: مجيء الرسل ووقوع البشرى:

المقطع الأول: مجيء الرسل:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الحِجر	ضيف إبراهيم	زيادة كلمة (المكرمين)	مراعاة سياق النظم
٢- الذاريات	ضيف إبراهيم المكرمين		

ورد قوله تعالى في سورة الحِجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾، كما ورد قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾.

الملاحظ ورود وصف الرسل في سورة الذاريات بـ(المكرمين)، وعدم وروده في سورة الحجر، بسبب ما يتطلبه سياق النظم في كل سورة، ففي سورة الذاريات ذكر بعض مظاهر الإكرام ومنها: ردّ السلام بخير منه؛ فقد حيّوه بجملة فعلية (نسلم سلامًا)، وهو حيّاهم بجملة إسمية، والجملة الإسمية أقوى وأثبت للمعنى وأبلغ، والمجيء بالعجل بطريقة خفية، وتقديمه لهم: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾، والعجل السمين من مظاهر الإكرام والذهاب خفية من إكرام الضيف، كما أن طريقة تقديم الطعام لهم، وتقريبه منهم وحثه لهم على الأكل منه من باب الإكرام: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، كما أن عدم إظهاره لخوفه منهم من مظاهر الإكرام: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، ولا شك أن هذه المظاهر تتناسب مع وصفهم بالمكرمين، وهو الأمر الذي من أجله اختلفت الصياغة في سورة الحجر؛ إذ لم يرد التحية عليهم واقتصر الرد على قوله: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ فصرح بخوفه منهم، حتى إن الخوف تعداه إلى أهل بيته، ومن ثم جاء كل تعبير مناسبًا للسياق الذي ورد فيه، ولذا اختلفت مشاهد القصة(٢).

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ص٣٠٠. وينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص١٧٩.

(٢) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان- الأردن، ط الثالثة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ص٨٣: ٨٥.

المقطع الثاني: وقوع البشرى:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- الحجر	إنا نبشرك	اختلاف الصيغة (بين الإسمية والفعلية)	مراعاة سياق النظم
٢- الصافات	فبشرناه		
٣- الذاريات	وبشروه		

(أ) وردت البشرى لإبراهيم عليه السلام بغلام في سور: الحجر، والصافات، والذاريات، ففي سورة الحجر: ﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٥٣﴾، وفي سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾، وفي سورة الذاريات: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨﴾.

والملاحظ أن البشرى قد وردت بصيغة فعلية في سورتي الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾، والذاريات: ﴿وَبَشَّرُوه﴾، وبصيغة إسمية موكدة في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾، وتوجيه ذلك أن إبراهيم عليه السلام لما واجه الملائكة بالتصريح بالوجل منهم في سورة الحجر بصيغة الإسمية، واجهوه بالبشرى بذات الصيغة؛ فإنه لما قال لهم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ قالوا له: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾، والتعبير بالجملة الإسمية يدل على الثبات والدوام، كما أن حالة الخوف التي تملكت إبراهيم عليه السلام في هذا المشهد كانت أقوى مما وردت في سورة الذاريات، ولذا قابلتها زيادة في طمأنة إبراهيم عليه السلام وأهله؛ وذلك بالتصريح بالبشارة بالصيغة الإسمية، أما في سورة الذاريات فلم يواجههم بالتصريح بالخوف منهم، بل ذكره الله تعالى بصيغة الغيبة: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، ولذا لم يواجهوه بالبشرى، بل وردت بصيغة الغيبة أيضا، وبالجملة الفعلية التي تفيد الاقتصار على زمن الحدوث: ﴿وَبَشَّرُوه﴾، فناسب كل تعبير في موطنه سياقه الوارد فيه(١).

كما أن إسناد البشارة إلى الله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾، يناسبه عدم ذكر التعجب؛ فالله قادر على كل شيء، كما أن الآية وردت في سياق إجابة دعوة إبراهيم أن يهبه الله غلامًا: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾[الصافات:١٠٠]، فكانت سرعة الاستجابة: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾[الصافات:١٠١] بما تدل عليه الفاء من التعقيب.

******

(١) ينظر: نفسه، ص٨٦. وينظر: دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، ص٢٢٨.

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
٢- الصافات	بغلام حليم	إبدال كلمة بكلمة (حليم- عليم)	مراعاة سياق النظم
١- الحجر ٣- الذاريات	بغلام عليم		

(ب) جاء وصف الغلام في سورتي الحجر، والذاريات بالعلم: ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾، بينما وصف في سورة الصافات بالحلم: ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾: وسبب ذلك أن وصف الغلام بالحلم جاء مناسبًا لما أظهره من صبر على الابتلاء العظيم، وتلقيه أمر ذبحه بالرضى، وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، فناسب هذا الموضع ورود وصف الذبيح بالحلم، ولمَّا لم يرد في آيتي الحجر، والذاريات ذكر الأمر بالذبح أو قصته، ناسبهما الوصف بالعلم وهو صفة من صفات الأنبياء، فورد كل موضع بما يناسبه من وصف، وهذا على القول: إن المبشر به واحد[1]، والراجح أن المبشر به مختلف، فهما بشارتان، لا بشارة واحدة؛ فالمبشر به في سورة الصافات إسماعيل عليه السلام، بينما المبشر به في سورتي الحجر والذاريات هو إسحاق عليه السلام؛ بدليل التصريح باسمه في سورة هود: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾، وقوله تعالى في سورة الصافات بعد إيراد قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾.

المشهد الثالث: إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام:

ورد ذكر بناء البيت في ثلاث سور هي: إبراهيم، البقرة، الحج بترتيب النزول، وقد وقع التشابه اللفظي في هذا المشهد من قصة إبراهيم عليه السلام في مقطعين:

المقطع الأول: الأمر بتطهير البيت:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- البقرة	العاكفين	إبدال كلمة بكلمة	مراعاة الفروق بين الألفاظ المتقاربة
٢- الحج	القائمين		

في سورة البقرة أمر لإبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بتطهير البيت: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظي من آي القرآن، ٢/ ٢٩١، ٤١٢.

مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾، وفي سورة الحج أمرٌ لإبراهيم وحده: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾، فخص آية البقرة بقوله: (وَٱلْعَٰكِفِينَ)، وخص آية الحج بقوله: (وَالْقَائِمِينَ)، مع اتحاد الأمر بتطهير البيت (لِلطَّائِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)، والمراد بالقائمين: ذوو الإقامة والملازمة للعبادة، فهو والعكوف مما يصح أن يعبر بأحدهما عن الآخر؛ لأن العكوف هو الملازمة وهو المراد بالقيام، وقد تقدم ذكر لفظه في سورة الحج في قوله: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾، فاكتفى بذكره خشية التكرار، ولمَّا لم يذكره في سورة البقرة ناسب ذكره فيها؛ لأن المقام يحتاج إليه للتنويه بالعبادات التي تقام عند البيت، فناسب كل تعبير مكانه(١).

المقطع الثاني: دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة:

السورة بترتيب النزول	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي	القاعدة
١- إبراهيم	هذا البلد آمنًا	التعريف والتنكير (البلد- بلدًا)	مراعاة سياق النظم
٢- البقرة	هذا بلدًا آمنًا		

ورد دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾، كما ورد في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

والملاحظ أن آية البقرة جاء التعبير فيها بكلمة (بلدًا) نكرة، بينما جاء التعبير بها معرفة في سورة إبراهيم، ولا اختلاف بين التعبيرين؛ لأنهما يحكيان مشهدين مختلفين؛ وقد ذهب علماء المتشابه اللفظي إلى وقوع الدعوة الأولى والمكان وادٍ قفر، فكأنه قال: رب اجعل هذا الوادي بلدًا آمنًا، وقد صوره الله تعالى على لسان نبيه بقوله: ﴿رَّبَّنَا إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴿٣٧﴾﴾، ووقوع الدعوة الثانية بعد تحول الوادي بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صار بلدًا -كما دعوتك سابقًا- ذا أمنٍ، فالتعريف حيث عرف المكان وسكنه الناس وعمروه، والتنكير حيث كان مكانًا قفرًا لا يعرفه أحد(٢).

---

(١) ينظر: السابق، ١/ ٤٩.

(٢) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ص٢٩. وينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص: ٧٨. وينظر: كشف=

لكن هذا التوجيه يضعف إذا راعينا ترتيب النزول؛ لأن آية البقرة متأخرة عن آية إبراهيم، فكيف يتأتى أن تكون الدعوة الواردة فيها والمكان قفر؟ وكيف يستقيم هذا التوجيه وهو يتنافى مع سياق الآيات الواردة قبل الآية وبعدها، والتي تؤكد على إعمار المكان، وشهرته للناس، ووجود البيت وتحقق الأمن فيه، بل تحقق وجود مقام إبراهيم، مع الأمر بتطهير البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[البقرة:١٢٥].

وأقوى منه في التوجيه مراعاة السياق السابق للآية[(١)]، وأن يكون تعريف البيت تعريف للبلد، وأن اسم الإشارة الذي وقع مفعولًا أول للفعل (اجعل) لا يحتاج لتابع؛ لقيام ما تقدم مقامه، و(بلدًا) مفعولًا ثانيًا، و(آمنًا) نعتًا له، ولو عُرِّف لفظ (بلد) بالألف واللام ما أعطى بيانًا أكثر مما تقدم، بل كان يكون كالتكرار، فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز، وأبلغ في المقصود.

أما سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فكان لا بد من تعريف (البلد) بالألف واللام ليكون تابعًا لاسم الإشارة، على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب[(٢)].

وأوضح من هذا التوجيه ما ذهب إليه الإمام الزمخشري في تفسيره، أن يكون الدعاء في سورة البقرة أن يجعل الله مكة من جملة البلاد التي ينعم أهلها بالأمن وعدم الخوف، وفي سورة إبراهيم أن يخرج الله البلد الحرام من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن[(٣)].

ولذا ثَنَّى إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة بطلب الرزق لأهل مكة بعد أن سأل لهم الأمن؛ لأن الإنسان إذا فقد الأمن انعدم إحساسه بلذة النعمة، فلا يطيب له طعام ولا شراب، بل ربما فقد معه حرية العبادة، كما يدل سياق الآيات التي أعقبت هذه الآية أن البلد كان قائمًا، بدليل رفع إبراهيم عليه السلام قواعد البيت بمساعدة ولده إسماعيل عليه السلام، ومعنى ذلك أن رفع البناء كان بعد عودة إبراهيم عليه السلام لمكة بعد مضي مدة من الزمن، بدليل سرد الآية لمشهد رفع قواعد البيت بواسطة إبراهيم عليه السلام، ومساعدة إسماعيل لأبيه، ولا يتأتى ذلك إلا بعد اشتداد عود الطفل، بينما بدأ في سورة

=المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين ابن جماعة، تح/ د/ عبد الجواد خلف، دار الوفاء- المنصورة، ط الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص، ١٠٥، ١٠٦.

(١) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، للباحث صالح بن عبد الله بن محمد الشثري، مخطوطة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص٢٢٢.

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ١/ ٥٠.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٣/ ٣٨٢.

إبراهيم طلب تحقيق الأمن، ثم أعقبه طلب العصمة مع بنيه من عبادة الأصنام، ثم طلب بعدها أن يرزق أهل مكة من الثمرات، وأن تهفوا إليها قلوب العباد، ويبدو أن هذا الدعاء كان عقب تركه لإسماعيل وأمه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، ويبدو أن الله تعالى قد أوحى لنبيه فأطلع على حرمة هذه البقعة، وأنها ستكون قبلة للناس، بدليل قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾، فالبيت كان موجودًا، لكن لم ترفع قواعده بعد، ولذا جاء دعاء إبراهيم متضمنًا علة إسكان ولده هذا المكان وهي إقامة الصلاة، ورفع شعائر الله، ومن ثم دعا لأهل المكان أن تهفوا إليهم أفئدة الناس، وأن يرزقهم الله تعالى من الثمرات: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيم:٣٧].

وهكذا جاءت أحداث قصة إبراهيم عليه السلام موزعة في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى، لا تجتمع في سورة بعينها، لكن هذا التوزيع لا يعني تكرار المعلومة؛ لأن توزيع المشاهد استتبعه اختلاف السرد وتنوع أساليبه، وفقًا للسياق الوارد في السورة، ففي كل موضع تذكر تفصيلة من القصة لم تسرد من قبل، بل تضيف إلى مفاصل القصة ما يكملها ويزيد في وضوحها.

******

المبحث الثاني

بنية السرد في قصة إبراهيم عليه السلام

تتكون بنية السرد للقصة من عدة عناصر، تتداخل وتتكامل مع بعضها لتشكيل مفاصل النص ومشاهده، وهي: الراوي، والمروي (الأحداث، والشخصيات، والزمان والمكان)، والمروي له، وتشترك القصة القرآنية مع القصة الفنية في مجموعة من عناصر البنية المكونة لهذا النوع الأدبي، وهي: الحدث، والشخصية، والراوي، ومن خلال الآيات التي ورد فيها تشابه لفظي في قصة إبراهيم عليه السلام سنحاول الوقوف على مكونات البنية السردية لهذا المتشابه اللفظي عبر التعرف على تشكيل الراوي، وتشكيل المروي، وتشكيل المروي له:

أولًا: تشكيل الراوي:

يعرف الراوي بأنه "الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها، سواء كانت حقيقية أم متخيلة، ولا يشترط أن يكون الراوي اسمًا متعينًا، فقد يكتفي بأن يتقنع بصوت، أو يستعين بضمير ما يصوغ بوساطته المروي"(١).

وتختلف زاوية الرؤية التي يقف فيها الراوي (السارد) من النص؛ فهي إما أن تكون خارجية تصف ما تراه، أو داخلية تُضفي انطباعات الراوي ووجهة نظره على الشخصيات، والأحداث، ولذا قسم النقاد الراوي – وفقًا لهذه الرؤية– أو باختلاف الضمير الذي يقدم الحكي إلى: الراوي الغائب، الراوي المشارك:

الراوي الغائب:

ويسمى الراوي العليم: وهو الذي يروي الأحداث بضمير الغائب، ويقدم الشخصيات دون أن يكون واحدًا منها؛ ويعرض الأحداث دون أن يكون طرفًا فيها، ويجعل بينه وبين الأحداث والشخصيات مسافة، ويكتفي بالنظر إليها من الخلف، وكأنه كاميرا سينمائية تعمل على نقل الوقائع والأحداث كما هي؛ ليشاهدها القارئ وكأنه يشاهد أحداث فيلم سينمائي، ويكون الراوي في هذا النوع مطلعًا على كل شيء من المواقف والأحداث المروية، متتبعًا مصير كل شخصية، كاشفًا ما يجول بخواطرها وأفكارها(٢)، وفي هذه الحالة يسمى الراوي المهيمن، أي العليم ببواطن الأمور.

---

(١) السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص١١.

(٢) ينظر: نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية– بيروت، ط الأولى، ١٩٨٢م، ص١٨٩. وينظر: قاموس السرديات، جيرارد برنس، تر/ السيد إمام، ط الأولى، دار ميريت للنشر– القاهرة، ٢٠٠٣م ص١٣٩. وينظر: بنية السرد في القصة القرآنية، حميد سمير محمد عباس، مجلة جذور، ع/ ٣٩، ربيع الأول ١٤٣٦هـ- يناير ٢٠١٥م، ص٣٢.

الراوي المشارك:

هو الذي يروى الأحداث بضمير المتكلم، ويحضر باعتباره إحدى شخصيات القصة، فيعرض ما وقع من أحداث، ويطلق عليه: الراوي الداخلي، ويتتبع المتلقي الأحداث من خلال عينيه؛ باعتباره ممثلًا لجزء من الحكي الذي يقدمه(١).

الراوي في القصة القرآنية:

إذا كان الراوي العليم في القصة عليمًا ببواطن الأمور، على سبيل الادعاء في عالم الخيال الأدبي، فإن الحديث عن الراوي في القصة القرآنية يختلف؛ لأننا نتحدث حقيقة عن سارد عليم وقادر، يحمل صفة الخلود، ويعلم كل شيء، إنه الله تعالى القادر على معرفة خلقه ومخلوقاته، والاطلاع على مكنون سرائرهم، لا تخفى عليه خافية ولا يعجزه شيء ولا يحتاج إلى علة أو سبب، ولذلك يكون سرده يقينًا مطلقًا لا يتسرب إليه الشك(٢).

وفي تناول عناصر بناء القصة القرآنية لا بد أن نضع نصب عيوننا أن الله تعالى هو الراوي لجميع القصص: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَصِ﴾[يوسف:٣].

ومن أمثلة الراوي الغائب في قصة إبراهيم عليه السلام قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾، إن الراوي العليم يظهر في أول القص فقط، ويعلن عن ذاته بضمير المتكلم (نا الفاعلين) في قوله (آتينا، وكنا)، ثم يتخلى بعد ذلك عن السرد ليتيح لإبراهيم وقومه تقديم القصة وكأنها ما زالت تحدث وقت الحكي، في صورة حوار يتجاذب فيه الطرفان الحجاج، ويقدم فيه إبراهيم أدلته على فساد عقيدة قومه، ولا يظهر الراوي العليم إلا بعد الحكم على إبراهيم بالتحريق، ليسند لنفسه الأمر بإنجاء ابراهيم من كيد قومه، لتتحول الأحداث إلى مجرى آخر، يخضع فيه السرد لقدرة الله وسطوته: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾، وفي هذا تسلية (للمخاطب/ النبي ﷺ) بأن الله لا يترك رسله، وأنه ناصرهم، فليمض في طريق دعوته لا يخش أحدًا، وتحذير للمتلقي بوجه عام من عاقبة معصيته تعالى، ومخالفة رسوله.

وهكذا، ظهر الراوي في سورة العنكبوت موظفًا ضمير الغائب في الحكي: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(١) ينظر: نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ص١٨٩. وينظر: قاموس السرديات، ص٨٨.

(٢) بنية السرد في القصة القرآنية، ص٣٤.

قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾، إن توظيف ضمير الغائب يوحي بأن الراوي خارج الحكي لا ينتمي إلى شخصيات القصة، ولذا فهو يقف منها موقف الحياد، يتضح ذلك في نسبة النجاة إلى الله بضمير الغائب، والتعبير بلفظ الجلالة: (فأنجاه الله) لا بضمير المتكلم (فأنجيناه).

وفي سورة الحج ظهر الراوي العليم معلنًا عن نفسه بضمير المتكلم/ نا الفاعلين: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾، وفي سورة هود يعرض الراوي العليم مجيء رسله في هيئة ضيوف غرباء لزيارة إبراهيم عليه السلام وتبشيره بغلام يولد له، فيعرض لإحدى صفات إبراهيم وهي إكرامه لضيفه، وإسراعه في تقديم واجب الضيافة لهم (عجلًا مشويًّا): ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾، لكن عزوف الضيف عن الأكل من طعامه جعل إبراهيم عليه السلام يظن أنهم يضمرون له شرًا: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾.

أما الراوي المشارك فقد وظف في أكثر من موضع في قصة إبراهيم عليه السلام؛ ففي سورة مريم أسند السرد إلى شخصيات القصة من خلال أسلوب النداء (يا أبتِ) الموحى بالتلطف وزيادة المحبة، وقد جاء الحوار مباشرة بلسان الشخصيتين الرئيستين، مما سمح للمتلقي بالمشاركة وكأنه جالس يشاهد الأحداث، ويستمع إلى الحوار، وينتظر ما سيسفر عنه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾.

وفي سورة العنكبوت جاء الراوي المشارك كإحدى شخصيات القصة؛ فإبراهيم عليه السلام يتولى دعوة قومه فخاطبهم ببيان فساد عبادتهم، ومجانبتهم الصواب فيما يتخذونهم آلهة: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

والملاحظ من خلال ما تم عرضه أن الراوي قد ظهر بنوعيه في مشاهد واحدة لا يمكن الفصل بينهما، فقد تبدأ القصة بلسان الراوي العليم، فيعلن عن نفسه وعن حضوره بإسناد الفعل إلى تاء المتكلم/ نا الفاعلين، أو التحدث مباشرة بضمير الغائب ثم يفسح المجال للأحداث بحيث لا يبقى أمام المتلقي إلا شخصيات القصة تتناقل الحكي فيما بينها، فيما يعرف بالراوي المشارك، وقد يعاود الراوي العليم الظهور مرة أخرى في آخر القصة حين يستدعي الأمر تدخله، كما في مشاهد سورة الأنبياء.

ثانيًا: تشكيل المروي:

المروي هو كل ما يصدر عن الراوي من مكونات القص من أحداث تقوم بها الشخصيات، والتي تقع في إطار من الزمان والمكان، ويعد الحدث أهم تلك العناصر؛ إذ يعتمد عليه في تنمية المواقف، وتحريك الشخصيات، ولذا كان تركيز البحث على هذا العنصر؛ للزومه في القصة، وعدم تصورها إلا به؛ فلا يتصور وجود قصة بلا أحداث، والأمر كذلك في القصة القرآنية؛ إذ لم تخل قصة منها، طالت أم قصرت.

ويمكن تعريف الحدث بأنه: "كل ما يؤدي إلى تغيير أمر، أو خلق حركة، أو إنتاج شيء"(١)، وهو: "هيئة انتظام الأحداث، وترتيبها في الحكاية ترتيبًا تسلسليًّا، والانتقال بها من حالة سردية معطاة إلى حالة سردية مختلفة، وأن هذا الانتقال قد يقوم به فاعل وقد يقع على مفعول"(٢)، ومعنى ذلك ألا تستقر الأحداث عند وضع واحد، بل لابد من نموها وتحولها؛ لينشأ عنها حركة تستتبع تشويق المتلقي، هذا التشويق الذي يأخذ في التنامي والصعود، حتى يصل إلى ما يسمى التأزم أو العقدة، ثم لا يلبث أن يتجه تنازليًّا ليصل إلى ما يسمى الانفراجة أو الحل.

وإذا كانت القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث التي يرتبها المؤلف ترتيبًا يتلاءم مع رؤيته لها للوصول إلى الغرض المقصود، أو الفكرة العامة للقصة، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك فنراه يورد كل قصة بطريقة مختلفة، تتسلسل فيها الأحداث وفق الغرض المراد إيصاله إلى المتلقي، وهذا ما نلاحظه في قصة إبراهيم، فقد رويت الأحداث فيها بأساليب مختلفة، مع العناية بالترتيب الزمنى الذى يقتضيه سياق الكلام.

ففي سورة الأنبياء بدأت القصة بأسلوب خبري يؤكد على أن إبراهيم لم يكن مجرد إنسانٍ،

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٧٤.

(٢) السرديات مقدمة نظرية، مرسل فالح العجمي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مج/ ٢٤، ع/ ٢٠٦، ٢٠٠٤م، ص٣٣.

وإنما هو رجل آتاه الله الرشد، والحكمة، فاجتباه لدعوة قومه إلى الله، وفي إضافة الرشد إلى إبراهيم للاختصاص وكأنه اشتهر به: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾، وتبدأ الأحداث في التصاعد بمواجهة إبراهيم لأبيه وقومه، وطرحه عليهم سؤاله الساخر: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾، وتأخذ الأحداث طريقها في التنامي برد قومه عليه ردًا يوحي بضعفهم، وضعف حجتهم: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴿٥٣﴾﴾ فلما ذكروا له حجتهم في العكوف على عبادة هذه الأصنام، وأنهم متبعون آباءهم، جمعهم في الضلال، والجهل لأن من يسجد لصنم لا يضر ولا ينفع فهو فاقد للعقل: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾، فلما أيقنوا قوة حجته أرادوا أن يمازحوه، ويتلطفوا معه: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾، فكان جوابه عليهم رفضًا لفكرة المزاح معهم بإقامة الدليل على أنه جاءهم بالحق: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾، ثم تحولت الأحداث من جدال بالرأي، وحوار بالعقل، لتأخذ طريقًا آخر هو التهديد بالقول من قبل إبراهيم ثم بالفعل: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، ويبدو من أسلوب الآية أن تهديد إبراهيم إنما كان سرًا، أي كان حوارًا داخليًا أجراه على عقله، وهو يتميز غيظًا منهم، وقد كان حادث تحطيمه لأصنام قومه نقطة لتحول أحداث القصة، إذ أخذت الأمور مسارًا آخر، فتحولت بعد ذلك إلى حجاج بين الفريقين أشبه بالمحاكمة، التي أعقبها النطق بحكم القوم على إبراهيم، وعقابهم له على فعلته بآلهتهم، على الرغم من تفوقه عليهم، وإقامة الحجة على ضلالهم: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، وهنا تصل الأحداث إلى التأزم الذي سرعان ما يسلم للنهاية التي تضع حدًا لافتراء هؤلاء القوم: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾، إن الأحداث هنا لا تخضع للمنطق الدنيوي، بل تخرج على قوانين الطبيعة؛ لأن الذي يحكمها هو الخالق، فالنار تُسلب خاصية الإحراق حفاظًا على إبراهيم، وآية لقومه الذين يشاهدون لعلهم

يرجعون إلى تحكيم عقولهم فيما يعبدون.

لقد أضاءت هذه الآيات من سورة الأنبياء بعض جوانب شخصية إبراهيم، فكشفت عن رجاحة عقله، وبراعته في الحوار، وقوة حجته، كما كشفت عن شعوره الذي دفعه لتحطيم الأصنام للتدليل على ضلال أبيه وقومه، وضلال آبائهم.

وفي سورة الشعراء جاءت البداية بأسلوب إنشائي في شكل أمر موجه من الله ﷻ لنبيه محمدٍ ﷺ بإخبار قومه عن نبأ إبراهيم عليه السلام، وما كان منه مع أبيه وقومه، والبداية تشعر القارئ أن هناك جمعًا من الناس يستمعون إلى رسول الله ﷺ، وأنه بصدد أن يلقي عليهم أمرًا يخص نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾، وهو ما توضحه الآية التالية التي تحدد مضمون الحدث: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾، والاستفهام هنا ليس على حقيقته؛ لأن إبراهيم عليه السلام يعلم أنهم يعبدون أصنامًا، لكنه أراد منهم أن يشرحوا حقيقة عبادتهم، ويُعرِّفُوا بمعبوداتهم؛ كي يظهر لهم فسادها، لكنهم أجابوه عن سؤاله ببيان نوع ما يعبدون، فحملوا سؤاله على الحقيقة: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾، فلما شعر بمحاولتهم ادعاء الذكاء قرر أن يفحمهم بالحجة، ومن ثم يصل الحدث إلى التشويق مع احتدام المناقشة والحوار: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾، لكنهم يفشلون في مواجهته بنفس حجته فيقررون أنه متبعون لما كان عليه آباؤهم: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾، إلى هنا يصل الموقف إلى التعقيد الذي يتبعه الحل؛ بإعلان إبراهيم براءته مما يعبده قومه، وعداوتهم له، وتعريفه لربه من خلال أفعاله، في محاولة لاستمالتهم إليه، وإقناعهم باتباعه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

وفي سورة الصافات جاءت البداية في شكل خبري يؤكد على تبعية إبراهيم لنوح في دعوته، ووصفه بسلامة القلب: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾، ثم تأتي الجملة الخبرية التي هي عماد الموقف القصصي، وبداية الصراع الفكري فيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ولئن تشابهت البداية مع ما ورد في سورة الشعراء، إلا أن الصراع جاء هنا مختلفًا؛ لأنه اتسم بطابع الحدة في الزجر، وعلو صوت إبراهيم عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، وتتصاعد وتيرة الأحداث بمكيدة دبرها إبراهيم عليه السلام؛ ليخلوا بها بالأصنام، فاعتذر عن خروجه مع القوم من المدينة في يوم عيدهم، فزعم أنه مريض

لا يستطيع الخروج[1]: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾، ثم تصل الأحداث إلى قمة التأزم بمواجهة إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه، متذكرًا كذبهم وزعمهم أنها تأكل الطعام وتجيب من يدعوها: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن عاجلهم ضربًا بيمينه؛ تحقيرًا لهم، واستخفافًا بهم: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾، وفي تطور للأحداث أقبل القوم على إبراهيم عليه السلام مسرعين غاضبين، فأوقفهم على حقيقة أمرهم، وضلال عبادتهم بأسلوب التبكيت والزجر: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ثم تأتي النهاية بالحكم عليه بإلقائه في نار عظيمة: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾، ولما نجاه الله من كيدهم آثر أن يبتعد عنهم فرارًا بدينه: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

وفي سورة العنكبوت بدأت القصة بأسلوب خبري جسد مشهد مخاطبة إبراهيم لقومه ودعوتهم لعبادة الله وحده: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقد سلك إبراهيم عليه السلام في خطابه طريق الاستدلال بالنعم الحسية؛ كي تكون أقرب إلى أذهانهم، وأرجى إلى تصديقهم: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾، وقد تصاعد الموقف باتخاذ قوم إبراهيم طريق العنف لا طريق العقل؛ إذ حكموا عليه بالقتل أو إلقائه في النار تخلصًا منه، وردًا على دعوته: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾، والملاحظ على الآيات طول الجملة السردية على عكس ما سبق من مقاطع السور السابقة التي اتسمت بقصر عباراتها، وسرعة وقعها.

لقد تناولت الآيات في السور السابقة جانبًا من حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو دعوته لأبيه وقومه، وسردت لنا الأحداث صراعه معهم، ونجاته من عذابهم، ولئن كانت الآيات في هذه المواضع قد اتفقت في الموضوع، فإنها اختلفت في أسلوب سرده، تشويقًا لمتابعة الأحداث، وقد تكاملت أركان الحدث القصصي من بداية ووسط فيه صراع، ونهاية، ووجود شخصيات تقوم به، وتتفاعل فيما بينها لإحداث الصراع، والملاحظ أن كل موضع من المواضع قد ركز على موقف معين اقتضاه سياق الآيات، الأمر الذي ينفي وقوع التكرار؛ ففي سورة الصافات سكوت عن

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٣/ ١٤٣.

طريقة نجاة إبراهيم، وفي سورتي الشعراء والعنكبوت سكوت عن حادثة تحطيم الأصنام، وجاء ذكر نجاته من النار مجملًا على خلاف التفصيل الوارد في سورة الأنبياء.

وفي سورة هود جاءت البداية في شكل خبر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ وتتكون بداية الأحداث من مجيء الرسل (الملائكة) وسلامهم على إبراهيم، ورده السلام عليهم، وإسراعه في إكرامهم بتقديمه لهم عجلًا مشويًّا، بما يدل على طول مكثهم في ضيافته، وهو ما يستدعيه فعل الذبح، وتجهيز العجل للشوي، إضافة إلى المدة التي يحتاجها فوق النار للنضج، ثم انتقل السرد إلى العقدة بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾، وبعد انفراج الأزمة بإفصاح الرسل لإبراهيم عن مهمتهم الأساسية، عاود السرد حملته التشويقية بتلك البشرى التي ألقاها رسل الله على سمع إبراهيم وزوجه بأنها ستلد ولدًا اسمه إسحاق، وأنه سيولد له ولد اسمه يعقوب دلالة على امتداد عمرها: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾، كما أن اسم (يعقوب) يشير إلى العقب وامتداد الذرية، وعدم انقطاعها، والتعبير بقوله (فضحكت) بمعنى (حاضت) علامة على تهيؤ رحمها للحمل[1]، وهو مما أضافه السرد في هذا الموضع من معلومات للقصة لم تسبق، كبيان سبب تعجب زوجة إبراهيم عليه السلام من تبشيرها بولد، فبينت أن تأخر الحمل، أو استحالته ناتج عن طعنهما في السن، وهو أمر يستدعي التعجب: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾، والتعبير بلفظ (البعل) بدلًا من(الزوج) له دلالته التي تتناسب مع سياق الآيات؛ فالبعل[2] أعم من الزوج؛ لأن الزوج من المماثلة، فالرجل والمرأة زوجان، أما البعل فمن الاستعلاء، والملك، وهو من يقوم بأمر معيله، وقد يسمى الأب أو الأخ بعلًا، وحين ينقطع حبل الزوجية بطلاق فالرجل بالنسبة للمرأة المعتدة بعل لا زوج، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ﴾[البقرة:٢٢٨]،

لذا كان تعجب زوجة إبراهيم عليه السلام من حملها وولادتها في هذا العمر، كما أن زوجها شيخ كبير لا ينتظر منه هذا الأمر، فهما في حال ييأس الإنسان فيها عادة من حصول الولد، ومن ثم

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٥/ ٣٩٢. وينظر: لسان العرب، ٤/ ٢٥٥٨.

(٢) البعل هو "الزوج، والزوجة، والأرض المرتفعة التي لا يسقيها إلا المطر، والزرع يشرب بعروقه فيستغني عن السقي، ورب الشيء ومالكه". المعجم الوسيط، ١/ ٦٤.

كان رد الملائكة عليها: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾، فالتعجب يبطل إذا عُلِم أن الأمر كله متعلق بقدرة الخالق التي تفوق كل شيء.

وفي سورة الحجر جاء البدء بأسلوب إنشائي هو الأمر، وقد طوى فيها ذكر رده السلام عليهم، وسبق لسانه بإعلان الخوف منهم: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾، فما كان من الرسل إلا أن نفوا عنه الخوف بإعلامه حقيقة أمرهم وتبشيره بغلام يولد له: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾، وتتصاعد وتيرة الحدث بما يحمله رد إبراهيم على الرسل من نبرة اليأس من حصول الولد، يؤكده بلوغه الكبر: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾، والتعبير بقوله (مسني) يدل على بلوغه أول الكبر الذي يحترز به عن الوصول لمرحلة ضعف القدرة الإنجابية، ويأتي رد الرسل حاسمًا وقاطعًا سادًا لباب اليأس، مؤكدين بشارتهم وأنها الحق: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وفي سورة الذاريات جاء البدء بأسلوب تشويقي بما يحمله الاستفهام من معنى التشويق؛ لمَّا كان الخطاب موجهًا للنبي ﷺ تسلية له على تكذيب قومه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾، وفيه وصف لضيف إبراهيم عليه السلام، والحدث قد ذكر قبل ذلك في سورة الحجر، إلا أنه هنا قد زيد عليه إثبات رد إبراهيم السلامَ على ضيوفه، مع ترديده في نفسه حقيقتهم وأنهم منكرون له، فلا بد أنهم غرباء عن محيطه: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ﴾، لقد تطور الحدث، وتصاعد حتى وصل إلى قمته بشعور إبراهيم عليه السلام بالخوف منهم، لكن سرعان ما تكشفت الأمور بتبشيره بغلام: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾، والإقبال هنا معناه الالتفات، وكأنها لما سمعت البشرى نظرت إلى الرسل بصيحة، أتبعتها لطم وجهها: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، وهذا رد فعلها بعد سماع البشرى؛ إذ كيف يتأتى لها أن تلد وقد بلغت من العمر أرذله، إضافة إلى أنها عاقر لم تلد في شبابها أصلًا.

والملاحظ أن الله تعالى قد حكى في سورة الحجر قولهم لإبراهيم عليه السلام، بينما حكى في سورة هود قولهم لامرأته، مع أن البشارة واحدة، مما يدل على أنها قد حصلت في وقتين متقاربين،

وكأنهم بشروه أولًا، ثم جاءت امرأته فبشروها(١).

إن هذه الأحداث قد اشتركت في موضوع واحد، بينما اختلف أسلوب سردها، فتنوعت طريقة الدخول إلى تفاصيل القصة وكذلك طريقة الانتهاء منها، وبين البدء والخروج اختلفت الوقائع بذكر تفصيلات وحذف أخرى بما يتناسب مع سياق كل سورة: ففي سورة الذاريات سكوت عن سبب تخوف إبراهيم من ضيوفه بينما أفصح عنه في سورة هود: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ أى إلى العجل نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

وفي سورتي الحجر والذاريات عدم إفصاح عن اسم المولود، بينما أفصح عنه في سورة هود، وفي سورة الحجر إفصاح عن سبب التعجب من ولادة غلام على لسان إبراهيم عليه السلام الذي أرجعه لكبر سنه، بينما جاء الإفصاح في سورة الذاريات على لسان زوجه التي أرجعته إلى عقمها، إضافة إلى كبر سنها، بينما جمعت سورة هود بين الزوجين وجعلتهما سببًا في عدم الإنجاب وهذا على لسان الزوجة.

وفي سورتي هود والذاريات لم يعترض إبراهيم على البشرى، بينما جاء اعتراضه في سورة الحجر.

كما يلاحظ أن السياق القصصي في الآيات المعروضة لم يهتم برسم ملامح الشخصيات الخارجية، وإنما ركز على الكشف عن نفسية الشخصية وتسجيل انفعالاتها، والكشف عن مشاعرها، كما حدث في تصوير رد فعل إبراهيم على عناد قومه، وفي حال تحطيمه للأصنام، وفي خوفه من ضيوفه الذين لا يعرفهم.

كما أن السياق لم يهتم بالإفصاح عن أسماء الشخصيات، وإنما اكتفى بذكر اسم (إبراهيم) وتكراره تارة، وذكر اسم أبيه مرة واحدة، وذكر اسمي إسحاق ويعقوب لغرض يقتضيه السبب من إيراد القصة.

كما أن السياق القصصي لم يهتم بتحديد زمن الأحداث، أو مكان وقوعها إلا بالمقدار الذي يخدم تطور الأحداث، ويحقق العبرة للمتلقي.

ومن خلال ما تم عرضه يتضح للقارئ أن أحداث قصة إبراهيم عليه السلام جاء تركيزها على المواقف التي تخدم دعوة محمد ﷺ، ودعمًا له؛ لتعينه على المضي في طريقه؛ إذ إن القصة القرآنية يسترجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار، ولتحصي جملة من الأمراض الاجتماعية تُستأصل

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ٥٨.

جرثومتها بصنوف العبر وشتّى النذر(١).

والملاحظ أن بناء السرد في قصة إبراهيم عليه السلام في كل موضع قد جاء من خلال بناء متتابع متسلسل وفقًا للأحداث الواقعة، كما أن كل موضع قد عرض جانبًا لم تعرضه المواضع الأخرى، تأكيدًا على أنه لا تكرار في القصة المعروضة، وأنه لا بد من قراءة جميع المشاهد كي تتكامل أحداث القصة لتعطي صورة كاملة واضحة.

كما أن الحدث في القصة القرآنية لم يُسرد بكل تفاصيله التي وقعت في الواقع، وإنما ذُكر من الأحداث ما يحقق الغرض المسوق له القصة؛ لأن القرآن لا يؤرخ لأحداث أو لشخصيات لغرض التأريخ، بل إن التفصيلات المسكوت عنها في موضع يجذب انتباه المتلقي لمعاودة القراءة الشاملة للربط بين الأحداث.

ثالثًا: تشكيل المروي له:

المروي له هو الشخص الذي يتوجه إليه الراوي بكلامه، أو الذي يتلقى ما يرسله الراوي وقد يمثل إحدى الشخصيات داخل النص ويكون جزءًا من الحكاية، فالراوي حين يكون إحدى شخصيات النص يتوجه بكلامه إلى مروي له من داخل النص نفسه، وقد يكون المروي له خارج الحكاية، ولا يجوز الخلط بين المروي له والقارئ؛ فالمروي له أحد عناصر السرد يقع في مستوى الراوي، بينما القارئ لا ينتمي إلي عالم المروي له، فالقارئ يقرأ الحكاية، بينما المروي له يستمع إليها(٢)، ومن ثم يمكن تقسيم المروي له إلى قسمين: مروي له داخلي الحكي، ومروي له خارجي الحكي.

أنواع المروي له:

١- مروي له داخلي الحكي:

ويستلزم شخصية داخلية في الحكاية سواء معلنة أم مضمرة، فالمعلنة متمثلة في تلك الإشارات التي يوجهها الراوي للمروي له، وهذا النوع من المروي له، يتمتع بدور "مزدوج يتغير حسب الحدث فهي تروي تارة، ويروى لها تارة أخرى(٣)، وهذا الدور المزدوج أتاح للشخصية حرية التنقل في النص، بمعنى أن تتحول الشخصية من راوٍ إلى مروي له، ومن متكلم إلى مستمع

---

(١) ينظر: المحاور الخمسة للقرآن، الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق (د. ت)، ص٨٩. وينظر: نظرات في القرآن، الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط السادسة، يوليو ٢٠٠٥م، ص٩٦.

(٢) ينظر: السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، ص١٢. وينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٥١. وينظر: المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، جيرالد برنس، تر/ عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط الأولى، ٢٠٠٣م، ص١٤٣.

(٣) ينظر: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها دراسة، د/ حسن مصطفى سحلول، من منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ٢٠٠١م، ص٤٣.

نتيجة إطالة شخصية أخرى للحوار معها، وهو ما نلمسه في محاورة إبراهيم لأبيه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾، فالمتكلم هو إبراهيم، والمروي له أو المخاطب هو أبوه، والنصيحة موجهة إليه، وهو منتبه لما يقوله ولده، ثم تبدلت الأدوار، وتغيرت المواقع فتحول المروي له إلى راوٍ، والراوي إلى مروي له عندما تحدث الوالد واستمع إبراهيم: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾، ثم رد إبراهيم على والده واستماع الوالد له: ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾، كما اتضح هذا الأسلوب في سورة الشعراء عندما حاور إبراهيم أباه وقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾، إن استعمال ضمير المخاطب دليل على أن الراوي متوجه بخطابه إلى مروي لهم، وأشخاص محددين يقفون أمامه ويحاورهم، يريد الوصول إلى قلوبهم وعقولهم، فيلهب مشاعرهم بالحديث عن ربه، ويعرفه لهم، ويبسط أمامهم جانبًا من قدرته، وفي ذات الوقت ينفي عن آلهتهم ما يتسم به ربه.

٢- المروي له خارجي الحكي:

إن مكانه يطل من الخارج إنه يتلقى المحكي من خارج النص كما يمكن أن يتداخل مع القارئ والمتلقي الخارجي الحقيقي، ويسمى المروي له المنادى، الذي يناجيه الراوي، ويلفت انتباهه أثناء قص الأحداث، فهو ليس شخصية من شخصيات القصة، وبالتالي لا يمكن له أن يتدخل في أحداثها، أو يؤثر في تطورها، دمج لهذا النوع من المروي له، وإذا لم يتعين المروي له في النص المحكي، ولم يشر إليه الراوي بأية علامة دخل في عباءة القارئ المحتمل(١)، أو المروي له المستمع، والمقصود به الذي لم يتحدد على أنه شخصية، بل تحدده طريقة التلقي كما في

(١) ينظر: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها دراسة، ص٤٣. وينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٥١.

الخطب، أو الحديث النبوي، والقرآن الكريم، أو حكايات ألف ليلة وليلة.

ففي سورة الشعراء بدأت القصة بعلامة نصية تشير إلي المروي له صراحة، وقد تمثلت في أسلوب الأمر الموجه من الله تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾، فالقصة كلها مروية للنبي محمد ﷺ، وهو مأمور من ربه أن يقصها على قومه لعلهم يتعظون منها، فلا يسلكون مع نبيهم ما سلكه قوم إبراهيم معه.

وهو نفس أسلوب البدء في سورة الحجر التي بدأت بأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقص على قومه أحداث زيارة الملائكة لنبيه إبراهيم وتبشيرهم إياه بغلام: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾﴾، كما بدأت أحداث القصة في سورة الذاريات بسؤال مباشر توجه به الراوي إلي المروي له: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾، فالخطاب موجه للنبي ﷺ تسلية له على تكذيب قومه.

وقد ينقل الراوي الصورة مباشرة إلي مروي له غير محدد، وهو كل من يستمع لهذا القول، ويتعظ به، مثل قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾، وقوله في سورة العنكبوت: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقوله في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾.

وهكذا يتضح أن المروي له تعددت مواقعه في المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، فجاء داخلي الحكي يحتل نفس مستوى الراوي؛ لأنه إحدى شخصيات القصة، فوجدناه محاورًا للشخصية الرئيسة فيتحول إلي مروي له مستمع، وخارجي الحكي غائب عن الحكاية مع وجود إشارات نصية تدل على وجوده داخل الحكاية، أو مستمع لها، وهكذا اتبع القرآن في طريقة سرده لقصة إبراهيم طرقًا مختلفة اقتضاها السياق.

******

التشكيل السردي وتصوير المشاهد:

المتأمل في النص القرآني –عامة– ونصوص المتشابه اللفظي التي حصرتها الدراسة من قصة إبراهيم عليه السلام –بصفة خاصة– يجد أن تشكيل العناصر السردية المكونة للنص القصصي أدى إلى نقل الأحداث بطريقة تجعل المتلقي وكأنه يشاهد تفاصيلها حية في بث مباشر، وكان تكرار قص المشهد الواحد في أكثر من موضع بمثابة كاميرات متعددة ومتحركة، تتولى كل واحدة منها مسؤولية نقل الحدث من زاوية معينة، ليتكامل بها تشكيل كل تفاصيل القصة أمام عين المتلقي؛ لتحدث فيه التأثير المطلوب، وليتحقق به الإعجاز الذي جعل العرب يقفون أمام القرآن

الكريم مندهشين لا يعلمون من أين تأتي حلاوته التي يشعرون بها.

وأضرب مثالًا لتلك المشاهد الثابتة والمتحركة التي وردت في تصوير إبراهيم عليه السلام وهو يدعو أباه وقومه، وما تم فيها من تسجيل للحوار الذي دار بينهم بكل تفاصيله، ورَدّ فعل الطرفين تجاه الآخر: وقد وقعت هذه المشاهد في ثلاث سور: نقلت سورة الشعراء جزءًا منها، ونقلت سورة الأنبياء جزءًا، وأكملت سورة الصافات الجزء الأخير منها، وإن كانت سورة الصافات أسبق في النزول من سورة الأنبياء، إلا أن كل سورة اختصت بتسليط الضوء على جزء من المشهد، فجاء مشهد سورة الشعراء أخف حدة، وأكثر هدوءًا: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤﴾، إن السؤال يأتي من إبراهيم عليه السلام في صورة شخص خالي الذهن، وكأنه يستفسر فعلًا عن أمر يجهله، لكن قومه قابلوه بالرد عليه فبينوا حقيقة ما يعبدون، ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا ببيان ما يفعلونه، وكأنهم يفتخرون بصنيعهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، ولما كانت سورة الشعراء تحكي أول موقف بين إبراهيم عليه السلام وقومه، اتسمت بالهدوء ومخاطبة العقل، فكان رده عليهم إعمالًا للعقل في صورة هذه الأسئلة التي تكشف حقيقة ما يعبدون، وبطلان ما يفعلون؛ ولذا لم يقابلوه بالعنف الذي صورته سورتا الأنبياء والصافات.

ففي سورة الأنبياء: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾، بدأ الحوار ساخرًا من طرف إبراهيم صوره التعبير بقوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾، وفي تعبيره بكلمة (التماثيل) بما تحمله من معنى تمهيد لبيان خطئهم، الذي أكده بقوله: (عاكفون)، وهو تصوير لحالهم وهيئتهم وكأنهم ملازمون لها، مرابطون أسفلها، لا ينفكون عن عبادتها، على الرغم من انحطاطها، وفي جوابهم عن سؤاله تصوير لهم بسذاجة فكرهم، وعجزهم عن إعمال عقولهم فَهُم على طريق آبائهم يفعلون ما فعلوا، ويعبدون ما عبدوا، ليس لهم من الأمر شيء، ولذا واجههم إبراهيم بتصريحه لهم بضلالهم وضلال آبائهم: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤﴾، فكان ردهم: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾، إن إجابتهم بهذه الصياغة توحي بضيق أفقهم، وضعف عقولهم، فهم بعد ما قدمه إبراهيم من بينة على فساد اعتقادهم ما زالوا يظنون أنه يضاحكهم، ويلاعبهم، ولذا كان رده عليهم حاسمًا مباشرًا: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾، ثم تنقل إلينا كاميرا أخرى ما كان يدور في نفس إبراهيم، وما عزم عليه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾، ثم تنتقل الأحداث

لتصور رد فعل القوم عندما شاهدوا أصنامهم محطمة، والدهشة التي علت وجوههم، والحسرة التي اعترتهم: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾، إنهم لا يزالون في ضلالهم، يصرون على أنها آلهتهم، على الرغم من مشاهدتهم لها محطمة، ثم تصور لنا الآيات التقاءهم بإبراهيم مرة أخرى ومجاذبته الحوار لإقراره على فعلته: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، وقد صور لنا المشهد اعترافهم فيما بينهم بخطأ اعتقادهم، وأنهم يعبدون أصنامًا لا تضر ولا تنفع، ولا تستطيع النطق: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾، وهنا انتهز إبراهيم الفرصة لتبكيتهم، ومحاولة إعادتهم إلى طريق الحق ظنًا منه أن ما فعله كافيًا لإيقاظهم من غفلتهم: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وتتوجه كاميرا أخرى لتنقل المشهد في سورة الصافات من زاوية مغايرة؛ إذ نجد تسارعًا في الأحداث جسدته قصر العبارات، ووقعها السريع، مع اختصار بعض الأحداث والسكوت عنها: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

لقد تتابعت أسئلته الموجهة إليهم فلم ينتظر منهم ردًا، بما يوحي بانفعاله عليهم وعدم انتظاره لإجابتهم، وإضماره التنكيل بآلهتهم، وهو ما ينقله لنا تشكيل السرد بتعبيره بالفعل (راغ) بما ينطوي عليه من معنى التخفي، أي أنه ذهب إليهم في خفية منهم، وما يصوره للمشاهد من معنى الميل والضرب بقوة، وهو ما يجعل الصورة متكاملة مع مشهد الأنبياء التي أعطتنا صورة للأصنام مكسرة قطعًا صغيرة ومفتتة نتيجة الضرب بقوة.

لكن المفاجأة أن القوم قابلوا النصح بالإعراض عنه، والحوارَ بالعنف، وقد تكامل مشهد النطق بالحكم على إبراهيم عليه السلام وتنفيذه من ثلاثة زوايا: الأولى قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧]، والثانية قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨]، والثالثة قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[العنكبوت: ٢٤]. هذا بترتيب النزول، فإذا ما وضع المتلقي جميع الآيات أمامه استطاع تكوين مشهد كامل لما حدث مع إبراهيم عليه السلام.

لقد جاء الحكم في مشهد سورة العنكبوت يصور تردد القوم بين الأمر بقتله أو الإحراق، وكأنهم أمروا بقتله، ثم تراجعوا عنه إلى التحريق؛ لما فيه من شدة التعذيب، وليذيقوه الألم مرات

ومرات، وكأن الآيات تجسد مشهد القوم وقد تعالت أصواتهم وهتافاتهم ضد إبراهيم بين من يطالب بقتله وإزهاق روحه، وبين من يطالب بتحريقه، كل هذا وأسيادهم، أو علية القوم فيهم يستمعون إليهم لم يصدروا في شأنه بيانًا، ثم يأتي المشهد في سورة الأنبياء يجسد شدة غيظهم وحنقهم على إبراهيم بسبب ما فعله بآلهتهم، كما يصور سرعة رد الفعل وعدم تباطئهم في إصدار الأمر، واجتماعهم على كلمة واحدة في حق إبراهيم، بما يدل على أن إصدار الحكم كان من قبل الأسياد فيهم، ليأتي المشهد الثالث كي يكمل الصورة بتصوير طريقة التنفيذ: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾.

وهكذا تكاملت المشاهد لتعطي صورة واضحة المعالم لما وقع من أحداث في قصة دعوة إبراهيم لقومه، يرصدها المتلقي إذا تأمل الآيات وربط بين اللغة التي نقلت والأحداث التي وقعت، لينتهي منها وكله يقين بأن هذا القرآن لو كان من عند غير الله لوجد فيه اختلافًا كثيرًا، وهذا الأمر خاص بالقرآن وحده، بمعنى أن السرد القصصي في القرآن الكريم نسيج وحده، وفي ظني لو حاول المبدعون أن يأتوا بقصة على غرار المتشابه اللفظي الوارد في القصص القرآني لما كان الأمر مقبولًا.

******

الخاتمة

بعد أن تناولت الدراسة التشكيل السردي للمتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام أكدت على أنه لا تكرار في القصة المعروضة في القرآن، وأنه لا بد من ربط المشاهد وتجميعها لقراءتها كوحدة؛ كي تتكامل الأحداث وتعطي صورة واضحة.

كما توصلت إلى مجموعة من النتائج التي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

– ورد المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام بأساليب مختلفة تتراوح بين: الزيادة والنقصان، أو الحذف والذكر، أو الإبدال (كلمة بكلمة، حرف بحرف، جملة)، أو اختلاف الصيغة بين الإسمية والفعلية، أو التعريف والتنكير.

– جاء تشكيل الراوي ضمن مكونات البنية السردية لهذا المتشابه اللفظي منوعًا بين الراوي الغائب، والراوي المشارك.

– ظهر الراوي بنوعيه في مشاهد لا يمكن الفصل بينهما، فقد تبدأ القصة بلسان الراوي العليم، فيعلن عن نفسه وعن حضوره بإسناد الفعل إلى تاء المتكلم/ نا الفاعلين، أو التحدث مباشرة بضمير الغائب ثم يختفي بعدها، ولا يبقى أمام المتلقي إلا شخصيات القصة تتناقل الحكي فيما بينها، فيما يعرف بالراوي المشارك، وقد يعاود الراوي العليم الظهور مرة أخرى في آخر القصة حين يستدعي الأمر تدخله.

– استتبع توزيع مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن اختلاف السرد وتنوع أساليبه، وفقًا للسياق الوارد في السورة.

– جاء بناء السرد في قصة إبراهيم عليه السلام من خلال بناء متتابع متسلسل وفقًا للأحداث الحقيقية التي وقعت، فلا مجال للخيال في تسجيلها، وإنما ذُكر من الأحداث ما يحقق الغرض من القصة؛ لأن القرآن لا يؤرخ لأحداث، أو لشخصيات لغرض التأريخ، بل إن التفصيلات المسكوت عنها في موضع يجذب انتباه المتلقي ويدفعه لمعاودة القراءة الشاملة للربط بين الأحداث.

– لم يهتم السياق القصصي في الآيات المعروضة برسم ملامح الشخصيات الخارجية، وإنما ركز على الكشف عن نفسية الشخصية وتسجيل انفعالاتها، والكشف عن مشاعرها، كما أنه لم يهتم بالإفصاح عن أسماء الشخصيات، وإنما اكتفى بذكر اسم (إبراهيم) وتكراره تارة، وذكر اسم أبيه مرة واحدة، وذكر اسمي إسحاق ويعقوب لغرض يقتضيه السياق.

– لم يهتم السياق القصصي بتحديد زمن أحداث القصة، أو مكان وقوعها إلا بالمقدار الذي يخدمان به تطور الأحداث، وتحقيق العبرة من إيراد القصة.

– تعددت مواقع المروي له في المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، فجاء داخلي الحكي

يحتل نفس مستوى الراوي؛ لأنه إحدى شخصيات القصة، فوجدناه محاورًا للشخصية الرئيسة فيتحول إلي مروي له مستمع، وخارجي الحكي غائب عن الحكاية مع وجود إشارات نصية تدل على وجوده داخل الحكاية، أو أنه مستمع لها، وهكذا اتبع القرآن في طريقة سرده لقصة إبراهيم طرقًا مختلفة اقتضاها السياق.

– أسهم تشكيل العناصر السردية المكونة للنص القصصي في تصوير المشاهد على نحوٍ أدى إلى نقل الأحداث بطريقة حية.

– كان تكرار قص المشهد الواحد في أكثر من موضع بمثابة كاميرات متعددة ومتحركة، نقلت كل واحدة منها الحدث من زاوية معينة.

******

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولًا: المراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات الرضى- بيدار، ط الثانية، ١٣٩٣هـ، ج/ ٣.

- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرماني(ت نحو ٥٠٥هـ)، تح/ عبد القادر أحمد عطا، مراجعة/ أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة،(د. ت).

- الإكليل في المتشابه والتأويل، ابن تيمية، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع- الإسكندرية، (د.ت).

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث- القاهرة، (د. ت)، ج/ ١.

- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د/ حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط الأولى، ١٩٩١م.

- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح/ السيد أحمد صقر، دار التراث- القاهرة، ط/ الثانية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

- التشكيل السردي المصطلح والإجراء، محمد صابر عبيد، دار نينوى، دمشق، سوريا، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

- التشكيل الشعري الصنعة والرؤيا، د/محمد صابر عبيد، دار نينوى، دمشق، سوريا، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

- تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، الأجزاء: ٧، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٣.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي، الرسالة- القاهرة، ط الرابعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، ج/ ٥.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح/ محمود محمد شاكر، مراجعة/ أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ، ج/ ٦.

- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، د/ الشحات محمد أبو ستيت، مطبعة الأمانة، ط الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

– درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة– بيروت، ط الرابعة، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

– السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، د/ عبد الله إبراهيم، ط الأولى، ١٩٩٢م.

– صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

– قاموس السرديات، جيرارد برنس، تر/ السيد إمام، ط الأولى، دار ميريت للنشر– القاهرة، ٢٠٠٣م.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ على محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م، ج/ ٣، ٤.

– كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين ابن جماعة، تح/ د/ عبد الجواد خلف، دار الوفاء– المنصورة، ط الأولى، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.

– لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف– مصر، (د.ت)، مجلد/ ٣، ٤.

– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان– الأردن، ط الثالثة، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

– مباحث في علوم القرآن، د/ مناع القطان، مكتبة وهبة، ط/ السابعة، (د.ت).

– المحاور الخمسة للقرآن، الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، (د. ت).

– المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، جيرالد برنس، تر/ عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط الأولى، ٢٠٠٣م.

– معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط الأولى، ٢٠١٠م.

– معجم مصطلحات نقد الرواية، د/ لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

– المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية ط/ الرابعة، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، ج/ ١.

– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظي من آي القرآن، ابن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د.ت).

– نحو القرآن، د/ أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.

– نظرات في القرآن، الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط السادسة، يوليو ٢٠٠٥م.

– نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها دراسة، د/ حسن مصطفى سحلول، من منشورات اتحاد الكتاب العرب– دمشق، ٢٠٠١م.

– نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية– بيروت ، ط الأولى، ١٩٨٢م.

ثانيًا: الدوريات والمجلات:

– بنية السرد في القصة القرآنية، حميد سمير محمد عباس، مجلة جذور، ع/ ٣٩، ربيع الأول ١٤٣٦هـ– يناير ٢٠١٥م.

– السرديات: مقدمة نظرية، مرسل فالح العجمي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مج/ ٢٤، ع/ ٢٠٦، ٢٠٠٤م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

– دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، للباحثة: برحمون فاطمة زهرة، مخطوطة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠١٦– ٢٠١٧م.

– المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، للباحث صالح بن عبد الله بن محمد الشثري، مخطوطة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

******

List of sources and references

First: References:

- Al'iitqan fi eulum alqurani, by Al-Hafiz Jalal al-Din Abd al-Rahman al-Suyuti (deceased: 911 AH), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Rida Publications - Bidar, second edition, 1393 AH, vol. 3.

- Asrar altakrar fi alquran almusamaa alburhan fi tawjih mutashabih alquran lima fih min alhijat walbayan, Mahmoud bin Hamza bin Nasr Abu Al-Qasim Burhan Al-Din Al-Kirmani, edited by Abdul Qadir Ahmed Atta, reviewed by Ahmed Abdel Tawab Awad, Dar Al-Fadila, (ed.).

- Al'iiklil fi almutashabih waltaawili, - Ibn Taymiyyah, Dar Al-Iman for Printing, Publishing and Distribution - Alexandria, (D.T.)

- Alburhan fi eulum alqurani, Badr al-Din Muhammad bin Abdullah al-Zarkashi, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Turath Library - Cairo, (ed.), vol. 1.

- Binyat alnasi alsardii min manzur alnaqd al'adbi, - Dr. Hamid Lahmdani, Arab Cultural Center, Beirut, first edition, 1991 AD

- Tawil mushkil alqurani, Ibn Qutaybah, explained by Mr. Ahmed Saqr, Dar Al-Turath - Cairo, second edition, 1393 AH - 1973 AD.

- Altashkil alsardiu almustalah wal'iijra'i, Muhammad Saber Obaid, Nineveh House, Damascus, Syria, 1432 AH -2011 AD.

- Altashkil, Muhammad Saber Obaid, Nineveh House, Damascus, Syria, 1432 AH - 2011 AD.

- Tafsir altahrir waltanwiri, Imam Muhammad Al-Tahir bin Ashour, Tunisian Publishing House, 1984 AD, parts: 7, 14, 16, 19, 23.

- Altafsir alwasit lilquran alkarimi, Dr. Muhammad Sayyid Tantawi, Al-Risalah - Cairo, Fourth Edition, 1408 AH - 1987 AD, vol. 5.

- Jamie albayan ean tawil ay alquran, Muhammad bin Jarir al-Tabari, edited by Mahmoud Muhammad Shaker, Ibn Taymiyyah Library - Cairo, second edition, 1420 AH, vol. 6.

- Khasayis alnuzum alquranii fi qisat 'iibrahim ט, Dr. Al-Shahat Muhammad Abu Steit, Al-Amana Press, first edition, 1412 AH - 1991 AD.

- Durat altanzil waghurat altaawili, fi bayan alayat almutashabihat fi kitab allah aleaziza, , Al-Khatib Al-Iskafi, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda Publications - Beirut, Fourth Edition, 1401 AH - 1981 AD.

- Alsardiat alearabiat bahth fi albinyat alsardiat lilmawruth alhikayiy, Dr. Abdullah Ibrahim, first edition, 1992 AD.

- Sahih albukhari, by Imam Abu Abdullah Muhammad bin Ismail

Al-bukhari, Dar Ibn Katheer, Damascus - Beirut, first edition 1423 AH - 2002 AD.

- Qamus alsardiati, Gerard Prince, Trans. Al-Sayyid Imam, first edition, Merritt Publishing House - Cairo, 2003 AD.

- Alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, By the scholar Jarallah Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari, edited by: Sheikh/ Adel Ahmed Abd al-Mawjoud, Sheikh/ Ali Muhammad Moawad, Obeikan Library, first edition, 1418 AH - 1998 AD, vol. 3, 4.

- Kashaf almaeani fi almutashabih min almathani, Badr Al-Din Ibn Jama'ah, edited by Dr. Abdel-Jawad Khalaf, Dar Al-Wafa - Mansoura, first edition, 1410 AH - 1990 AD.

- Lisan alearabi, Ibn Manzur, Dar Al-Maaref - Egypt, (ed.), vol. 3, 4.

- Lamasat bayaniat fi nusus min altanzili, Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Ammar, Amman - Jordan, third edition, 1423 AH - 2003 AD.

- Mabahith fi eulum alqurani, Dr. Manna Al-Qattan, Wahba Library, seventh edition, (ed.).

- Almuhawir alkhamsat lilqurani, Sheikh Muhammad Al-Ghazali, Dar Al-Shorouk, (D. T.).

- Almustalah alsardiu (maejam mustalahati), Gerald Prince, Trans. Abed Khazandar, Supreme Council of Culture, first edition, 2003 AD.

- Muejam alsardiati, Supervised by: Muhammad Al-Qadi, International Association of Independent Publishers, first edition, 2010 AD.

- Muejam mustalahat naqd alriwayati, Dr. Latif Zitouni, Dar Al-Nahar Publishing, Lebanon, first edition, 2002 AD.

- Almuejam alwasiti, A collection of authors, published by the Arabic Language Academy in Cairo, Al-Shorouk International Library, fourth edition, 1425 AH - 2004 AD.

- Malak altaawil alqatie bidhawi al'iilhad waltaetili, fi tawjih almutashabih allafzii min ay alquran, Ibn al-Zubayr al-Thaqafi al-Gharnati, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, (D.D.).

- Nahw alqurani, Dr. Ahmed Abdel Sattar Al-Jawari, Iraqi Scientific Academy Press, 1394 AH - 1974 AD.

- Nazarat fi alqurani, Sheikh Muhammad Al-Ghazali, Dar Nahdet Misr, sixth edition, July 2005.

- Nazariaat alqira'at waltaawil al'adabii waqadayaha dirasatu, Dr. Hassan Mustafa Sahloul, published by the Arab Writers Union - Damascus, 2001 AD.

- Nazariat almanhaj alshaklii nusus alshaklaniiyn alruws, Trans: Ibrahim Al-Khatib, Arab Research Foundation - Beirut, first edition,

1982 AD.

Second: Periodicals and Magazines:

- Binyat alsard fi alqisat alquraniati, Hamid Samir Muhammad Abbas, Juzur Magazine, No. 39, Rabi' al-Awwal 1436 AH - January 2015 AD.

-Alsardiaat muqadimat nazariatun, Mursal Faleh Al-Ajmi, Annals of Arts and Social Sciences, Kuwait University, vol. 24, issue 206, 2004 AD.

Third: University theses:

- Dalalat almutashabih allafzii fi alsiyaqat alquraniati, By researcher: Barrahmoun Fatima Zahra, PhD manuscript, Faculty of Letters, Languages and Arts, Djilali Liabes University/Sidi Bel Abbes, Algeria, 2016-2017 AD.

- Almutashabih allafziu fi alquran alkarim wa'asraruh albalaghiatu,by researcher Saleh bin Abdullah bin Muhammad Al-Shathri, PhD manuscript, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia, 1421 AH - 2001 AD.

******

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٧٣
التمهيد	٧٦
التشكيل السردي والمتشابه اللفظي: المصطلح والمفهوم	٧٦
أولًا: التشكيل السردي.	٧٦
ثانيًا: المتشابه اللفظي.	٧٨
المبحث الأول: المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام ودلالته	٨١
المشهد الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام إلى الله.	٨١
المقطع الأول: الدعوة الفردية (دعوته لأبيه).	٨١
المقطع الثاني: الدعوة الجماعية (دعوته عليه السلام لأبيه وقومه).	٨٤
المقطع الثالث: صدور الحكم على إبراهيم عليه السلام.	٨٧
المقطع الرابع: نجاته عليه السلام من النار:	٨٨
المشهد الثاني: مجيء الرسل ووقوع البشرى:	٨٩
المقطع الأول: مجيء الرسل.	٩٠
المقطع الثاني: وقوع البشرى.	٩١
المشهد الثالث: إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام:	٩٢
المقطع الأول: الأمر بتطهير البيت.	٩٢
المقطع الثاني: دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة.	٩٣
المبحث الثاني: بنية السرد في قصة إبراهيم عليه السلام	٩٦
أولًا: تشكيل الراوي.	٩٦
ثانيًا: تشكيل المروي.	٩٩
ثالثًا: تشكيل المروي له.	١٠٦
التشكيل السردي وتصوير المشاهد.	١٠٨
الخاتمة.	١١٢
فهرس المصادر، والمراجع باللغة العربية.	١١٤
فهرس المصادر، والمراجع باللغة الإنجليزية.	١١٧
فهرس الموضوعات.	١٢٠